Princeton University Library
32101 064950767

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

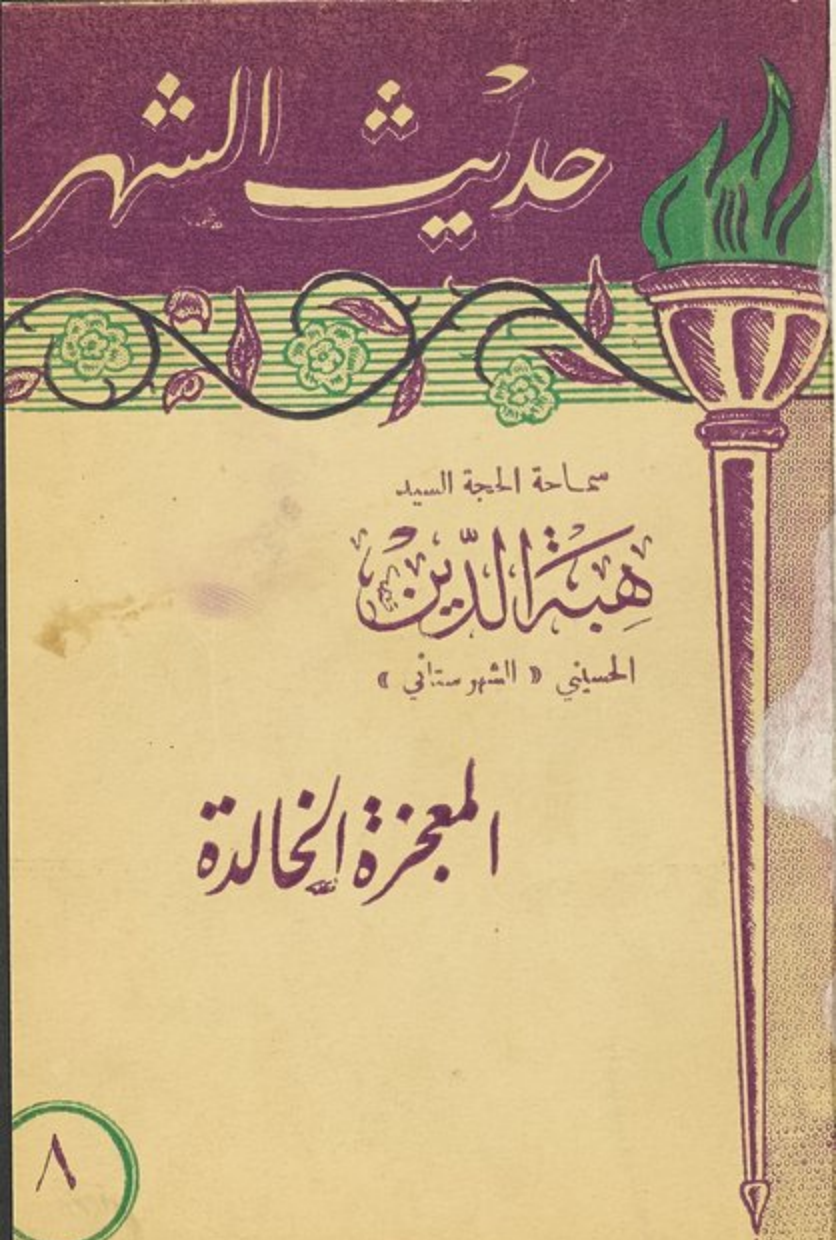

سماحة الحجة السيد

هبة الدين

الحسيني « الشهرستاني »

المعجزة الخالدة

٨

Shahrastāni

سماحة الحجة السيد

هبة الدين

الحسيني « الشهرستاني »

المعجزة الخالدة

حديث الشهر -٨-

رمضان ١٣٦٩

حزيران ١٩٥٠

(RECAP)
(ANNEX A)
BP130
.7
.5237
1990

حديث الشهر

سلسلة كتب شهرية تقدم في مطلع كل شهر كتاباً

صدر منها

١ـ مثلهن الأعلى خديجة أم المؤمنين	الشيخ عبدالله العلايلي
٢ـ أبو جعفر النقيب	الدكتور مصطفى جواد
٣ـ دعبل الخزاعي	الاستاذ جرجس كنعان
٤ـ الامام الصادق ملهم الكيمياء	الدكتور محمد يحيى الهاشمي
٥ـ سكينة بنت الحسين	الاستاذ توفيق الفكيكي
٦ـ رسالة الحقوق للامام زين العابدين	الاستاذ عبدالهادي المختار
٧ـ أم سلمة	الاستاذ محمد زكي بيضون

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 02240538

فهرس

٥ تمهيد
٧ المحاضرة الاولى : بجمل من مفصل ، ماهي المعجزة ولماذا
٨ معجزات النبي
٩ اعجاز القرآن، ميزة القرآن بين المعجزات
١٢ التحليل والتعليل
١٧ المحاضرة الثانية : هل تحدى الرسول بالقرآن
٢٠ المحاضرة الثالثة : منزلة القرآن لدى البلغاء
٢٦ المحاضرة الرابعة : اقرار عظماء الافرنج بعظمة القرآن
٣٢ المحاضرة الخامسة : تشريح مزايا القرآن
٣٦ المحاضرة السادسة : وجوه الاعجاز على المحك
٤٤ المحاضرة السابعة: النظريات السبع للعلماء في وجوه الاعجاز
٤٥ الجهة الاولى : الامية
٤٦ الاعجاز والامية
٥١ الجهة الثانية : البلاغة في القرآن ومزاياه السامية
٥٤ آيتان على منضدة التشريح
٦٢ الجهة الثالثة : الاعجاز وغرابة الاسلوب
٧٠ الجهة الرابعة : الاعجاز وانباء الغيب
٧٢ انواع المغيبات
٧٥ اضافات على الانباء الغيبية

M52827 1131

٨٠ هل الغيب بالنسبة الى الخالق او الى الخلائق
٨٢ الجهة الخامسة : الجذبات الروحية منشأ اعجاز القرآن
٨٣ سر الجذبات الروحية في آي القرآن
٨٧ ما هو كهرباء القلوب عامة: ملحق دفاعي عن الاعجاز القرآني
٩١ الجهة السادسة : الجامعية واعجاز القرآن
٩٢ خاتمة المحاضرة السابعة : الصرفة من النظريات السبعة
٩٤ المحاضرة الثامنة : معرض المعارضات القرآنية
٩٥ نموذج من منشات مسيلمة
٩٦ نموذج من كلام سجاح المتنبية
٩٧ نموذج من كلام اسود العنسي
٩٨ خلاصة الحركات من الاوائل والاواخر
١٠٠ نموذج من كلام الباب علي محمد الشيرازي
١٠٣ تعليق على الباب و«وحيه»
١٠٨ نموذج من كلام البهاء
١٠٤ نموذج من « وحي » القادياني
١٠٩ الى من التحاكم في تفوق القرآن
١١٣ المحاضرة التاسعة من افتتاح سور بحروف مقطعة
١١٤ الجواب الشارح لرموز اوائل السور
١٢٠ تتمة الشواهد على ما ادعينا
١٢٣ تعليق على ملاحظات الكشاف
١٢٤ المحاضرة العاشرة المتشابهات القرآنية خزانة المعجزات

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بعد الحمد والصلاة . لايجدن الباحث المتحري مهما بالغ في التحري اثراً لبشر حريصاً بسمة البقاء والابد ، مطبوعاً عليه بطابع الاعجاز والخلود غير القرآن الحكيم . فهذه تواريخ البشر الاذكياء من انبياء وحكماء وابطال ومصلحين ونوابغ مفكرين ، ممن ملأوا اجواء العالم المتمدن باثارهم المادية والمعنوية تراهم لم يخلفوا شيئاً محسوساً صالحاً لأن يوصف بالاعجاز والخلود معاً ـ فلا أعمال بقيت ولا عامل بباق ـ سوى النبي المصطفى رسول الابدية ونبي الرحمة العالمية العامة (ص) . هنا لابد للقارىء الكريم ان يتساءل عن هذا السر المستتر وتعليل هذه الحقيقة الغامضة قائلا كيف اختص القرآن وحده من بين آلاف الآثار وملايين الاعمال بصفة الاعجاز ونعت الخلود ولماذا ؟! وكيف اختص النبي العربي بمثل هذا الاثر

الممتاز ولماذا ؟! نعم ان هذا الكتاب الذي تراه بين يديك أيها القارىء العزيز هو الذي يتعهد كشف هذه الاسرار المنشودة ،ويتكفل اقناع العقول بصحة هذه الدعوى المبنية على اوضح الشواهد اذا اعطيت التأمل حقه في جمله جملة فجملة . والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

هبة الدين

مجمل من مفصل كمرآة لما هو آت

ماهي المعجزة ولماذا

المعجزة عبقرية في اعمال النبي متى سطع نورها على ابصار الناظرين أورثت فيهم دهشة تسوقهم الى الاذعان .

وان معجزاً ينعت بهذا النعت الجليل لحري بان يسمى آية النبوات أو سلاح الانبياء وان يعده العامة علامة بين الخالق والخليقة يعرف بها النبي من المتنبي .

ولماذا اضطر الله انبياءه وسفراءه الى استعمال هذا السلاح سلاح الاعجاز وآية العبقرية السماوية، فلا يتلى تاريخ نبي الا وتتلى معه مدهشات العجائب والغرائب اجل، تلك ضرورة لامناص منها للرسل المصلحين فانهم دعاة القلوب الى جهاد الهوى ومستخدمو النفوس ضد الشهوات، ومستحيل (والله) اخضاع الطباع ضد الشهوات والعادات بغير قوة قاهرة وبدون سلاح نافذ . وأية قوة قاهرة أو سلاح نافذ الأثر لدعاة الخير ورسل السلام امضى من عبقريتهم الباهرة التي تدع العقول في ذهول وتسوقها الى الاذعان والقبول فتؤمن حياة مباديهم السامية

بأبر الوسائل والوسائط .

معجزات النبي

لانخر في ان سيدنا محمداً (ص) آية الله ومعجزته ، اذ كل مخلوق لله آيته ومعجزته وكل كائنة صغرى أو كبرى آية الله ومعجزة للبشر . وقد قال (توماس اديسون) المخترع الشهير (للفونوغراف) ـ الحاكي ـ وغيرها (لفوورد) ان ظفرى قد سقط اليوم ولا يستطيع اهل الارض ان يصنعوا مثله تماماً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولكن الله يصنع لي مثله بعد شهر) فالخليقة باسرها آية الله الظاهرة ومعجزته الباهرة .

اما إذا عدت افعال سيدنا محمد (ص) أو أشباه محمد آيات ومعجزات فهنالك الفخر والاثر . اذ هو بالرغم من كل غلو فيه، بشر، وابن بشر فانى له ان يفوق البشر من ذاته وبذاته كلا ثم كلا . فلا يوجد في الوهم قياس منطقي يرجح انساناً على الملايين من قبيله لولا عناية من الخالق بشأنه ولكن النبي محمد (ص) فاق الانام في خلقه المدهش ، في شرعه المدهش ، في قرآنه المدهش !!

ادهش القرآن بلاريب نوابغ العرب واخرس شقشقة البلغاء في عصره !. ألأسلوبه الرائق ولفظه الريق ونظمه المعجب ؟ ام لبدايع معانيه الجذابة وعظمة مباديه ولطايف امثال فيه ؟ لانعلم . . وانما نعلم انه ادهش ويدهش العربي العارف وربما كان اثره في العامة بالاولى وانه في الخاصة بالاخرى. وبانبائه الغيبية وباسرار في اشاراته واشعاراته ؟. اجل ـ ذا القرآن مدهش من أي وجه كان . وآية عبقريته ساطعة .. وقد استعان به منقذ العرب بعد ما غدوا سكارى بخمرته فاحيى ذكرهم واصلح امرهم وادبهم كما شاء وشاءت المصلحة واستخرجهم من ظلمة العادات القاسية الى ضياء عيشة راضية، ثم استخدم اولئك المهتدين بانوار القرآن كألسنة لدعوة الامم وسيوف لادانة العالم .

ميزة القرآن بين المعجزات

للقرآن ميزات كثيرة لايسع المقام تعدادها مهما بالغنا في الاختصار غير ان اكبر ميزة فيه (وهي التي وضعته فوق

المعجزات كلها) هي انها مجموعة فصول ليست سوى صبابة احرف عربية من جنس كلمات العرب بل ومن ايسر اعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية، ولم يخلق رب الانسان للانسان عملا بعد الافتكار ايسر لديه من الكلام . وكلما كان العمل البشري ايسر صدوراً واكثر وجوداً قل النبوغ فيه وصعب افتراض الاعجاز والاعجاب منه، غير ان الفصول القرآنية على انها صبابة احرف العرب ومن جنس ايسر اعمالهم تجد العبقرية فيها ظاهرة باجلى المظاهر السامية على عبقرية كل شاعر وساحر وتراهما على اعظم جانب من التأثير مع انها كما اشار اليها القرآن عبارة عن : ا . ل . م . ك ه . ي . ع . ص الخ هي الاحرف العربية المبذولة ولكن تأليف امثال آية منها فوق وسع العرب والعجم .

يقال والقول صحيح (الناس كالناس والايام واحدة) فاصدق محك لمعرفة أحوال الاولين هو مطالعة احوال الاخرين وقياس الماضي على الحال .

هـذا ونرى الناس في عهدنا مطبوعين على استحباب الشهرة والاثرة وطلب التفاضل والتفاخر فاذا رأوا احدهم

يبغي التفوق عليهم بصناعته اندفعوا بكل قواهم الى مباراته وجدوا لكي يأتوا بخير منه ولاسيما اذا اطمأنوا من نفعه وقد فطر البشر على مثل هذا الشعور ليتكامل رقيه الادبي وينال به التفوق الصناعي والمدني (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) والشعب العربي المعاصر للنبي (ص) كان ولا ريب منطوياً على هذا الشعور تماماً فلماذا لم يندفع الى مباراة القرآن ولاسيما بعدما شاهدوا من صناعة هذا النبي فائدة وعائدة ؟! ولم لم يعارضوا عبقريته في البلاغة وهـو فرد وهم الوف ؟ ألعدم وجود أساتذة فيهم لهذه الصناعة ؟ كلا فقد كانت تربة الحجاز خصبة منبتة لاساتذة الفصاحة والبلاغة ، وكانت مكة حضيرة اربابها ومناخ ركابها فلم لم يندفعوا الى معارضته بالمثل وهو المعارض لهم بكل ما يستطيع من قوة ؟ ولماذا اندفعوا الى مقاتلته دون مقابلته ، والى مقابلته بالاسنة بدل الالسنة وبالحراب بدل الكتاب حتى افرغوا كنانتهم برمي آخر نبلة فيها ولم ينجحوا ، ولماذا اندهشت عباقرتهم من ملوك النثر والنظم حتى ضيعوا على اثرها عقليتهم فضاعت بذلك بضاعتهم . ليت شعري مم وبم اعجزت عبقرية ذلك الفرد

المستضعف فيهم وهم الوف ومعتزون بالوف وكيف اعجزتهم اسطر وكلمات وحروف .

التحليل والتعليل

حري بنا ان نحلل هذه الدهشة الغريبة واسبابها الحقيقية ونقيس انفسنا (ونحن في القرن العشرين) على اولئك الاساتذة (وان كانوا في القرون الاولى) قياساً حسب ذلك المقياس القائل (الناس كالناس والايام واحدة) فاذا عم الاعجاب بالقرآن اساتذة عصرنا الراقي فلا نلوم المعجبين بالقرآن في القرون الاولى . وقد رأينا استاذ البلاغة في جامعة الامريكان البيروتية (جبر ضومط) في كتابه (الخواطر الحسان) يكثر الاعجاب من آيات القرآن وبلاغتها . وقد تمثل بآية : (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) ٢٦ : ٢٠ فتصور للتلفظ بها صوراً اربعاً ثم ارتأى انها باسرها لا تبلغ مبلغ الموجود في القرآن من حسن السبك وبلاغة المعنى . وهكذا الدكتور شبلي شميل : معجب بعبقرية القرآن في مواضع من مقالاته المنشورة ويقول في قصيدته المشهورة :

دع من محمد في صدى قرآنه ماقد نحـاه لحمة الغايات

اني وان أك قد كفرت بدينه

هل اكفرن بمحكم الآيات

ومواعظ لو أنهم عملوا بها ما قيدوا العمران بالعادات

« الى قوله : »

فهم المدبر والحكيم وأنه رب الفصاحة مصطفى الكلمات

رجل الحجا رجل السياسة والنهى

بطل حليف النصر في الغارات

ببلاغة القرآن قد خلب النهى

وبسيفه أنحى على الهامات

من دونه الابطال فى كل الورى

من غائب أو حاضر أو آت

وقد قال الدكتور شبلي شميل ناثراً بعد أن قال ناظماً ما نصه : إن في القرآن أصولا اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى في أمر النساء فانه كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفواحش وأوجب على الرجل أن يتزوج واحدة عند عدم امكان العدل وان القرآن قد فتح أمام البشر أبواب العمل

في الدنيا والآخرة بعد أن أغلق غيره من الأديان تلك الابواب . . الخ

وقد أوصى أبو ابراهيم ناصيف اليازجي ولده لتنمية ثقافته العالية قائلا « اذا شئت ان تفوق أقرانك في العلم والادب وصناعة الانشاء فعليك بحفظ القرآن ونهج البلاغة » .

ولو استقصينا أقوال نوابغ العصر حول اعجابهم من القرآن على اختلاف مللهم ونحلهم أمثال « كارليل » و« ولز » و « صال » الانجليز و « تولستوي » الروسي و « مونتيه » الفرنسوي وغيرهم لتألف منها كتاب وكاد البحث يحيد بنا عن الموضوع ، موضوع تحليل دهشة الاولين الذين قهرتهم عبقرية النبي (ص) الأمي وقرآنه فأعود قائلا :

اذا قام بيننا البناء والحداد ينضمان القريض الجيد اعجبنا حسن القصيدة من جهة وأعجبنا تفوقها على النظم من جهة أخرى لأنهما عاميان أميان لم يأخذا من الدراسة والكتابة حظاً فمحمد الأمي المخاطب بآية « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنك » ٢٩ ، ٤٧ ربيب البادية

وخريج حي بني سعد ينهض في أم القرى بدعوة نسخ الانظمة وتعديل الشرايع واصلاح العالم . هذه من جهة ومن جهة أخرى انه أفنى قواه في معارضة أقوام سفلة وكابد الاذى والاسى من الافواه والايدي وقضى حياته في ادارة الحروب والمغازي وهو مابين هذه وتلك يأتي بكتاب يعجز عن مباراته بلغاء عصره ونوابغ دهره لابد وان يدهش أمره وحق لهم أن يندهشوا لأن الرجل الأمي قد يفوز بالعبقرية ولكن عبقريته لابد وأن تتجه أما الى ميادين الحروب فيكون من عظماء الفاتحين أو تتجه الى أندية الرأي ومجالس الشورى فيكون من كبار الساسة والدهاة وأما من يجمع تلكما الحسنيين ويضيف اليهما نبوغ العلم، نبوغاً في النظم نبوغاً في التشريع، والقضاء . نبوغاً في جلب عواطف الخاصة والعامة ، فلم يسمع به التاريخ ولم يسمح به الزمان وربما عد الفن وجوده ضرباً من المحال فان النبوغ في بعض الخصال نتيجة اتجاه الطبيعة بقواها الى القلب وحده والنبوغ في بعض الخصال نتيجة اتجاه الطبيعة بقواها الى أعضاء اخرى .

اذن فالدهشة طبيعية لدى مشاهدة بطل كهذا . بطل في العلم والنظم معاً ، بطل السياسة والفلسفة معـاً ، بطل في الادارة وفي مداراة الخاصة والعامة جميعاً . بطل في التشريع والتنفيذ حتى على نفسه ، بطل في كل ذلك وفوق ذلك أنه أمي غير متعلم ويعيل تسعة أزواج وكلهن يبتغين منه العدل والاحسان . ومن وراء ذلك كله يأتي الناس بكتاب يتحداهم الى مباراته ويتحمس في وجه العموم ان يأتوا بمثله ولا يأتون .

مدهش وربك هذا الرجل الفذ ومدهش كتابه الفذ واكثر ما يعجب فيه ان لم يتخصص بفن واحد من الفنون لافي الفاظه ونظمه ولافي معانيه وحكمه فبينا تراه يتحدث ببلاغة عجبى وأمثال عليا إذ يجري في ميدان العلم أومضمار الفلسفة ويبدي من أسرار الطب والطبيعة وكائنات الارض وكامنات السماء ونواميس المواليد مالاتفي بشرحه الصحائف مما نطق به أمس وانكشف سره اليوم بفضـل الادوات المخترعه والفنون الآلية المتنوعة . والحالة أنه لم يملك شيئاً منها يوم أخبر عنها ثم تراه خائضاً في تاريخ القرون الخالية

والامم البائدة غير مستند على آثار أو أسفار وتأتي الحفريات والاثريات مصدقتين له وشارحتين، بعد قرون وأجيال وبعد ان ترجمت كتب الاقوام.

وكذلك تراه يسن نظاماً وينسخ احكاماً غير مستند في ذلك الى مشورات أو مؤتمرات ولكن الظروف الاخيرة والتجارب المتعاقبة ومؤتمرات عصورنا الحالية تذعن وتعلن اتفاقها لاحكام القرآن عدى، انبائه الغيبية عن أحوال أفراد وأقوام وعواقب أقيال وأجيال.

هي هي «والله» بواعث الاعجاب والدهشة العامة التي اعترت وتعتري الناس من عرب ومستعربة كلما تلوا القرآن أو تليت عليهم آياته وفسرت بيناته.

المحاضرة الثانية

هل تحدى الرسول بالقرآن ؟

صدور التحدي من الرسول لأهل الصنعة أمر أساسي ينبغي ثبوته قبل أي شيء آخر حتى يكون المعجز معجزة وعدم التصدي بعد التحدي ملزماً للخصم وندرك الهدف الذي

نحن بصدده . ومن تصفح القرآن المجيد وجد بين آياته البينات تحدياً بيناً ولا سيما في الآيات الاربع . أولاهن بمكة في سورة الاسراء « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٨٧:١٧ وأخراهن بالمدينة في سورة البقرة « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا . . الخ » قال علماء الكلام ان القرآن تحدى فصحاء مكة أولا في سورة الاسراء بأن يأتوا بمثل القرآن الذي كان انزل فلم يأتوا به ثم تحداهم في سورتي هود ويونس بان يأتوا بعشر سور أو بحديث مثل حديثه فلم يأتوا بشيء ثم تحداهم بأن يأتوا مثل سورة واحدة فلم يأتوا به ، مجاراة في التنازل من الاصعب الى الاسهل ثم جدد في المدينة تنازله الى الاتيان بسورة واحدة فلم يفعلوا . وهو كما جاراهم بهذا التنازل وبالغ في مداراة الخصم والتساهل معه قد اخبر باديء بدييء بمكة ان الانس والجن سواء من حضر أو غبر وسواء الماضي والآتي لو اجتمعوا

وتضاهروا وتناصروا بينهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أي خصوص سورة « الاسراء » أو عموم ما انزل وما ينزل لا يأتون بذلك . وقد ظهر صدق هذا النبأ الغيبي أو الخبر المنفي فمرت على هذه الصرخة اكثر من ألف وثلاثمئة وخمسين سنة لم يأت المعارضون بمثله ولا ولن . كما انبأ بسورة البقرة بقوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » فانبأ عن الغيب بالنفي المؤبد أو النفي المؤكد . وفي نفس الوقت قابلهم بتعجيز وتقريع وتبكيت فلو كان فيهم قوة المعارضة والمغالبة لتهيأوا وتغلبوا بمباراة الكلام قبل الكلام وقبل أن يفرغوا في محاربته ألف غمد وغمد ويمتشقوا ألف حسام وحسام .

فناشدتك الله في أبي سفيان وحزبه وشدة عدائهم لمحمد وصحبه . هل ادخروا في وسعهم قوة لم يستعملوها في سبيل اطفاء نور التوحيد واخماد نائرة الجدال اورمى ورموا حتى آخر سهم في كنانتهم فلم يبق لقوس الشرك منزعاً ولا لنفسه مفزعاً الا واستخدمه في مقاومة النبي . وكم جند لحربه الاجناد وضحى أنفس أمواله وأنفس قواده وأعز أحبته وأولاده . فلو كان يعلم صخر قريش انه يقدر

على صقر قريش واسقاط دعوته واسكات صرخته بان يؤلف جيشاً من بلغاء الادباء ومفوهة الفصحاء حتى يعارضوا محمداً وقرآن محمد (ص) لكان هذا الامر اسهل عليه وايسر ما لديه . افما كان تأليف مائة شاعر وناثر من انحاء الجزيرة لمعارضة القرآن ايسر لديه من تأليف الاحزاب من عشرة آلاف مقاتل وتجهيزهم بالعتاد والأسلحة وتموينهم بالميره والذخيرة ثم يولون الادبار بعد خسائر النفوس والنفائس يعودون من خندق المدينة الى مكة كما عادوا من بدر وغير بدر بخفي حنين . فلا يرتاب عاقل ، فضلا عن فاضل ، في ان اختيارهم للموت اوركوب الاصعب من الموت لم يكن الا نتيجة يأس واضطرار .

المحاضرة الثالثة

منزلة القرآن لدى البلغاء

ربما يخال البسطاء ولا سيما الضعفاء في صناعة البلاغة وصياغة تراكيب الكلام ان الجمل المسبوكة في آي الذكر الحكيم هي في صف الكلام المنثورة ومن صنف الحكم

المأثورة وغاية المبالغة في شأنها لدى هؤلاء ان تنزل منزلة القصائد والاشعار فعلى هؤلاء واشباههم من القصر ان يقلدوا صيارفة الكلام من مشاهير البلغاء ويعولوا على شهادات اهل الخبرة من عرفاء العرب الأولين واخص منهم بالذكر من عارضوا الذكر الحكيم ثم باؤا بالفشل . وفيهم المذعنون والمؤمنون امثال وليد ولبيد والأعشى وكعب بن زهير . فقد روت الينا الاثار ان الأعشى الكبير بلغته الدعوة وايات النبوة فجاء الى ام القرى ليعتنق الاسلام فعارضه ابو جهل ورغبه عن مواجهة النبي (ص) قائلا (انه يحرم عليك الاطيبين) يعني الخمرة والزنا فاجابه الأعشى : « اني كبرت ولا حاجة لي الى الزنا » واجتمعت عليه قريش لما سمعت بخبره وبمدحه النبي الامي في قصيدة دالية جاء بها ليجعلها تقدمة ايمانه واذ عانه يقول فيها :

نبي يرى ما لاترون وذكره اغار لعمري في البلاد واجدا

الى آخره .. قالوا للأعشى ان انشدته (اي صاحب القرآن) هذه القصيدة لم يقبلها منك ولم يزالوا يخدعونه ويمنعونه حتى سافر الى اليمامة وقال (اقضي اياماً هناك ثم

اعود اليه . وكذلك كعب بن زهير الذي جعل قصيدة (بانت سعاد) مقدمة اسلامه ويقول فيها :

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ

ـقران فيها مواعيظ وتفصيل

ان الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

واما لبيد الذي يضرب به المثل في الشعر الراقي فقد اسلم بعد اذعانه بسمو معنى القرآن وترك قيل الشعر تعظيما واحتراما . ولما قيل له ما فعلت قصيدتاك قال ابدلني الله بخير منهما من سورتي البقرة وآل عمران . ومما شاع وذاع وبثوا روايته في الاسماع والاصقاع ان قريشاً بعد ما نزلت وتليت عليهم آية (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) ١١ : ٤٦ « هود » بادروا الى القصائد السبع المعلقات حول الكعبة من خير ما جادت به قرائح الشعراء العباقرة امثال : امرؤ القيس وطرفة وكعب وعمرو . خجلاً منهم وانفعالا كالذي زين البيت بقناديل الزيت . ثم سطعت من

حولهن مصابيح الكهرباء القوية . ومن اشهر خصوم الاسلام قدماً الوليد بن المغيرة المخزومي فقد مر على رسول الله (ص) وهو يتلو في صلاته بضع آيات من سورة المؤمن فانقلب الوليد الى مجلس قومه ، وقد ادهشته روعة القرآن فقال لهم (والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً . ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى) . ولما شاع ثناؤه على القرآن قالت قريش لقد صبا الوليد الى دين محمد وسوف تصبو قريش معه فأرسلوا اليه ابن اخيه ابا جهل المخزومي وامثاله ليخدعوه ويساجلوه فاستمهل ليفكر ويعيد النظر في امر محمد (ص) ثم اتاهم قائلاً : تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا . قال تزعمون انه شاعر .. فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا .. قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب قالوا اللهم لا .. (وكان يسمى الامين والصادق قبل النبوة لصدقه ولا مانته) فقالت قريش للوليد فما هو ؟ فتفكر في نفسه ثم قال ما هو

الا ساحر . أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر .. فأرتج النادي فرحاً وتفرقوا .. والى هذه القصة اشارت الآيات في سورة المدثر (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالاً ممدودا وبنين شهودا ـ يعني وليدا ـ الى قوله : فقال ان هـذا الا سحر يؤثر الخ .. فانظر الى مدى اكبارهم لامر القرآن وشأن قائله وناقله والدهشة من سره ، حتى نعتوه بالسحر المدهش اثره الذي هو فوق العلم والقدرة منهم .

شوهة بوهة على هؤلاء وعلى هـذه الآراء . الم يشعروا ان السحر لا يتأتى في الكلام ونحوه من امور غير قارة الذات وما لا يبقى بعد موت الساحر وما لا يؤثر في غيابه ولا في اقوياء النفوس والعلماء المدققين وها هو القرآن قد مر عليه حتى اليوم الف وقرون وسنون وهو غض طري كما كان لم يتضائل نوره واثره بمرور الزمان وبتوالي الاعقاب في الاحقاب .

وقد روي عن هشام من اصحاب الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال اجتمع في بيت الله الحرام اربعة

من مشاهير الدهرية واعاظم الادباء وكبار الزنادقة وهم عبدالكريم بن ابي العوجاء وابو شاكر ميمون بن ديصان وعبدالله بن المقفع وعبدالملك البصري فخاضوا في حديث الحج ونبي الاسلام ومايجدونه من الضغط على انفسهم من قوة اهل الدين ثم استقرت آراؤهم على معارضة القرآن الذي هو اساس الدين ومحوره ليسقط اعتباره من معارضتهم اياه ومباراتهم له فتعهد كل واحد منهم ان ينقض ربعاً من القرآن الى السنة الآتية فاذا انتقض كله وهو الاصل انتقض كلما يبنى عليه او يتفرع منه .. فتفرقوا على ان يجتمعوا في القابل .. ولما اجتمعوا في الحج القابل وتساءلوا عما فعلوا اعتذر ابن ابي العوجاء قائلاً انه ادهشته آية (قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الخ . فاشغلته بلاغتها وحجتها البالغة .. واعتذر الثاني قائلاً : انه ادهشته آية (ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) ٢٢ : ٧٣ الحج . فأشغلته عن عمله .. وقال ثالثهم ادهشتني آية نوح (وقيل يا ارض

ابلعي ماءك ويا سمـــاء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) ١١ : ٤٦ فأشغلتني عن الفكرة في غيرها .. وقال رابعهم ادهشتني آية يوسف ، فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً) فأشغلتني بلاغتها الموجزة عن التفكر في غيرها . قال هشام واذا بأبي عبدالله الصادق (ع) يمر عليهم ويومي اليهم قائلاً : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .. الاسراء : ٨٧

هذا قليل من كثير عن خبر خضوع الخبراء والبلغاء الأولين لبلاغة القرآن وهم من اعداءه الالداء ومن مشاهير ادباء العرب القدماء . . وفي هذا القدر كفاية لمن يتطلب الهداية .

المحاضرة الرابعة

إقرار عظماء الافرنج بعظمة القرآن

أسلفنا خضوع خصوم القرآن من بلغاء العرب واقرارهم بعبقرية المصدر العظيم لهذا الوحي الحكيم ، وذلك لفرض الاقناع والاقتناع لقاعدة «الفضل ماشهدت به الاعداء» .

عجيبة والله ظهور هذه الاقارير في بطون هذه التقارير من أقوام ركبتهم النخوة والغرور ، وكيف دانت جبابرتهم لاحكام هذا القرآن ، وخضع عباقرتهم لباهر برهانه وقهر سلطانه، وهم يسمعونه من شفتي رجل أمي ضعيف مستضعف. « والتاريخ يعيد نفسه » فانا اليوم نرى المتحدثين بفضيلة القرآن وجلالة مغزاه ومرماه من عظماء الافرنج المسيحيين وهم في اوج الرفعة والمنعة ، ونحن من الضعف كما نرى ، فاقرار بلغائهم وادبائهم بتفوق القرآن على كل كتاب وخطاب ، وانه الجذاب الوحيد للالباب وانه مدرسة الحكمة وفصل الخطاب ، وانه المثل الاعلى في العبقرية والاعجاز وانه خير دستور لانتظام البشر ، وانه ، وانه . بحيث تجد في كلام هذا اللفيف ، أو هؤلاء الالوف الوفاً من الحجج البالغة الكافية للاقناع والاقتناع وها نحن على التزامنا للاختصار والاقتصار على المهم بل الاهم نحتزي. من هذه الشهادات على عشر هي :

١ ـ قال الاستاذ(١) سنايس: ان القرآن هو القانون العام

(١) ننقل هذه الشهادات واشباهها في هذا الكتاب عن مجلتي العلم النجفية والمنار المصرية وكتاب العقيدة الاسلامية لمستر كيوليام الانكليزية وكتاب محمد والقرآن لفضيلة الشيخ كاظم خطيب الكاظمية =

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو صالح لكل مكان وزمان فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب تعاليمه واحكامه لاصبحوا سادة الامم كما كانوا أو بالاقل لصار حالهم حال الاقوام المتمدنة »

٢ ـ قال مستر بورسورت سميث : « من حسن الحظ الوحيد في التاريخ ان محمداً اتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرايع وللصلاة والدين في آن واحد »

٣ ـ قال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي : « التعاليم الاخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفوة الآداب العالية وخلاصة المبادىء الخلقية الكريمة وهي اسمى بكثير من آداب الانجيل »

٤ : قال داور ارلوهارت : اشرق القرآن بصفحهم نوراً يأله من نور وهو نور حكمة القرآن الذي انزله على صدر نبيه المبعوث لاحالة لارشاد البشر .. وابقى لهم دستوراً لن يضلوا ابداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير اخراهم »

٥ ـ قال الكونت هنري دي كستري : « لولم يكن في

= فمن شاء التوسع في هذا الفرع فليراجع هذه المصادر الوثيقة .

القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولى على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب »

٦ ـ قال رينورت : يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التى انعشت في اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن بل ان اوربا مدينة للاسلام »

٧ ـ وقال جويث : القرآن يجذب القارىء بمحاسنه ويولع فيه ولعاً زائداً لكثرة فصاحته وبلاغته »

٨ ـ قال الدكتور موريس الفرنسي : ان القرآن افضل كتاب أخرجته يد الصناعة الازلية للبشر .

٩ ـ قال كوزان دي بيرسوفال : أما مسألة الوحي بالقرآن فهي اكثر اشكالا واكبر تعقيداً لأن الباحثين لم يهتدوا الى حلها حلا مرضياً والعقل حار كيف يتأتى ان تصدر تلك الآيات من رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة انها آيات يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى . آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها وكفى رفيع عباراتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها وفاضت أعين النجاشي ملك الحبشة لما تلا عليه جعفر بن

أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى صاح القس ان هذا الكلام وارد في موارد كلام عيسى (ع).

١٠ ـ قال بو لا تيتلر: من الصعب ان يظن الانسان في امره ان قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير القرآني خصوصاً وانها تصدر عاليه بغير ضعف ابداً وتتجدد رفيعة معجزة اذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض وملائكة السماء واشار الى آية «ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان ما انزل بعلم الله».. الخ

فانظروا الى هذه الشهادة التي تبرهن سر الاعجاز في القرآن وفي فصاحته البالغة فوق الطوق ولا بد ان تكون مما فوق الطبيعة وفوق المستوى البشري وقد ايد هذا الاستنتاج المعقول بآية تحدى بها الرسول من زعموا انه افتراه على الله قائلاً: فأتوا بعشر سور مفتريات منكم وممن استطعتم ان تشركوهم وايا كم حتى يتبين المقبول من المرذول عند المقابلة فان اللؤلؤ الحقيقي ان وضع امام اللؤلؤ الصناعي افتضح هذا واتضح ذاك وهذه النظرية العالية هي التي حدت بنا

ان نجعل الجذبات الروحية ملاك الاعجاز القرآني كما ستسمع تفصيل ذلك .

ومن بديع ما بلغنا عن مستر كرينكو الانكليزي استاذ الاداب العربية في كلية (عليگده) الهندية عندما اجتمع الاساتذة والادباء حوله في حفلة وسألوه عن اعجاز القرآن اجابهم .

« ان للقرآن اخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة ، فهل في امكان احد ان يأتي بمثل هذا الاخ الصغير حتى يسوغ لنا البحث عن الاخ الكبير ، وامكان ان يأتي احد بمثله ؟ » .

وبمناسبة استشهاد هذا الاستاذ بكتاب نهج البلاغة ووصف منزلته العليا في عالم الادب العربي بل العالم العلمي الاممي نذكر كلمة جامعة لامام البلغاء واستاذ الخطباء والادباء وتلميذ القرآن الكريم ونبيب النبي العربي الحكيم « علي بن أبي طالب » (ع) يصف فيها منزلة القرآن قائلا كما في نهج البلاغة « وانزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه

وتبياناً لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزاً لا تهزم انصاره وحقاً لا تخذل اعوانه . فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المنتزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يفيضها الواردون الخ »

المحاضرة الخامسة

تشريح مزايا القرآن

للقرآن مزايا جمة ومهمة نذكر منها ثماني وعشرين مزيه كرؤوس أقلام :

١ـ فصاحة الفاظه الجامعة لكل اشراطها .

٢ـ بلاغته بالمعنى المشهور اي موافقة الكلام لمقتضى الحال ومناسبات المقام او بلاغته الذوقية المعنوية .

٣ـ مسحة البداوة اي عروبة العبائر الممثلة لسذاجة البداوة مع اشتمالها على بسائط الحضارة .

٤ـ توفر المحاسن الطبيعية .

٥ـ ايجاز بالغ حد الاعجاز بدون ان يخل بالمقصود.

٦ـ اطناب غير ممل حتى في مكرراته .

٧ـ سمو المعنى وعلو المرمى في استهدافه الكمال الأسمى

٨ـ طلاوة اساليبه المطربة ومقاطيعه المبهجة واوزانه المتنوعة .

٩ـ فواصله الحسنى واسجاعه المطربة .

١٠ـ انباؤه الغيبية واخباره عن كوامن الزمان وخفايا الأمور .

١١ـ اسرار علمية لم تهتد العقول اليها بعد عصر القرآن الا بمعونة الادوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثات .

١٢ـ غوامض احوال المجتمع واداب اخلاقية تهذب الافراد وتصلح شؤون العائلات .

١٣ـ قوانين حكيمة في فقه تشريعي فوق مافي التوراة والانجيل وكتب الشرايع الاخرى .

١٤ـ سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف .

١٥ـ خلوصه عن تنافر الحروف وتنافي المقاصد

١٦ـ ظهوره على لسان بدوي امي لم يعرف الدراسة ولا

ألف محاضر العلماء ولاجاب الممالك سائحاً مستكملا

١٧ـ طراوته في كل زمن وكونه غضاً طرياً كلما تلي واينما تلي .

١٨ـ اشتماله على السهل الممتنع الذي يعد في الشعر ملاك الاعجاز والتفوق النهائي .

١٩ـ قوة عباراته لتحمل الوجوه وتشابه المعاني .

٢٠ـ قصصه الحلوة وكشوفه التاريخية عن حوادث القرون الخالية .

٢١ـ امثاله الحسنى التي تجعل المعقول محسوساً وتجعل الغائب عن الذهن حاضراً لديه .

٢٢ـ معارفه الالهية كأحسن كتاب في علم اللاهوت وكشف أسرار عالم الملكوت وأوسع سفر في مراحل المبدأ والمعاد .

٢٣ـ خطابياته البديعة وطرق اقناعه الفذة .

٢٤ـ تعاليمه العسكرية ومناهجه في سبل الصلح وفنون الحرب .

٢٥ـ سلامته عن الخرافات والاباطيل التي من شأنها

اجهاز العلم عليها كلما تكاملت اصوله وفروعه .

٢٦ ـ قوة الحجة وتفوق المنطق .

٢٧ ـ اشتماله على الرموز في فواتح السور ودهشة الفكر حولها وحول غيرها .

٢٨ ـ جذباته الروحية الخلابة للألباب ، الساحرة للعقول الفتانة للنفوس .

هذه بعض مزايا القرآن تعرض على المحك لافراز ماهو من وجوه الحسن والامتياز مما هو من وجوه التفوق والاعجاز .

أما أنا فقد وقع اختياري بعد طول اختباري على وجه واحد هو الاخير في ما عددناه وهو عندي وجه الاعجاز المقصود في آيات التحدي أعني جذابته الروحية الناشئة من كونه كلام خالقنا الرب الحكيم . وهذه الجذبة محسوسة للشرقي والغربي والعجمي والعربي لاينازعنا فيه أحد .

أما سائر وجوه الحسن والامتياز فهي آثار كونه كلام الله أو مؤثرات معدة في تكوين اعجازه وجذباته الروحية وحتى ان جمهور العلماء الذين عبروا عن اعجاز القرآن

ببلاغته أرادوا ما أردنا من جاذبيته الروحية .

المحاضرة السادسة

وجوه الاعجاز على المحك

رأيتم في المحاضرة السالفة على منضدة البلاغة العالية تشريح مزايا القرآن البالغة نحو الثلاثين من وجوه التفوق لآي الذكر الحكيم على اي كتاب كريم . بينما تلكم الوجوه الوجيهه تنقسم شطرين فمنها وجوه للاعجاز ومنها وجوه للامتياز . اي ان الكلام الممتاز قد يوصف بوجوه الامتياز على غيره من اشباهه ونظائره وقد يوصف بالاعجاز الذي لا يأتي بمثله الأقران . مثال ذلك من كلام الامام علي (ع) (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يؤدي حقه المجتهدون) ... الخ فان هذا الكلام موصوف بالفصاحة لسلامته من التعقيد ومن تنافر الحروف والكلمات ومن التنافي بين الاسجاع والقوافي . كما يوصف بالبلاغة لعلو المعنى المرغوب وحسن التركيب والاسلوب وموافقته لمقتضى الحال والمقام فوق ما فيه من عذوبة الالفاظ والانسجام .

غير أن الوجوه المذكورة هي وجوه حسن وامتياز وليست من وجوه التفوق والاعجاز لجواز مباراته من قبل الادباء والبلغاء بخلاف كلمة الامام (ع) في وصف الانسان: « أم هذا الانسان الذي خلق في ظلمات الأرحام وسجف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا ثم جنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ثم منحه الله بصراً لاحظاً ولساناً لافظاً وقلباً حافظاً » الخ فان هذه السبيكة المرصعة ببواقيت الكلم ومعالي معاني الحكم معدودة في صف المعجزات البواهر والمدهشات من العبائر الزواهر لما توفرت فيها وجوه الاعجاز فوق صنعة الايجاز .

ثم ان الوجوه التي سبرناها في تشريح مزايا القرآن تجري على سبائك ألفاظ البلغاء على وجه العموم من منثور ومنظوم ومن مأثورات الكتاب والسنة ومن منشئات سائر الأمم من عرب وعجم .

فالأمة الفارسية التي تعد منظومتها الموسوعة الموسومة « شهنامة » في ذروة الشعر الممتاز البالغ حد الاعجاز وتتباهى بالسهل الممتنع من شعره المعجز :

بروز نبرد آن يل ارجمن بتيغ و بتير و بگرز و كمن
بريد و دريد و شكست وبست
يلانرا سر وسينه و پاودست

وحقاً أنه معجز من قبل الفرد لقبيل الأفراد بينما تقرأ في هذه المجموعة الموسوعة أبياتاً ممتازة أخرى لاتبلغ حد الاعجاز بل تقنع بوجوه الامتياز أمثال :

توانا بود هركه دانا بود ز دانش دل پير برنا بود

اذن فالفرق بين بينما نعده من وجوه اعجاز القرآن وبينما نعده من وجوه الامتياز فحسن السبك والاسلوب وسهولة اللفظ والتركيب وسلامة الكلام من تنافي المعاني أو تنافر الحروف وأمثالها مهما كانت محبوبة وممدوحة فانها لا تخرج من دائرة وجوه الامتياز ولا تبلغ حد العبقرية والاعجاز ذلك الاعجاز الذي تحدى القرآن به في آية الاسراء ٨٧:١٧ « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وهذا الاعجاز القرآني فوق كل إعجاز يذكر في عالم الشعر والنثر لأن هذا الاعجاز إعجاز من قبل فرد لقبيل أفراد مثله

بينما الاعجاز القرآني اعجاز أممي عالمي . ألا ترى السبائك من الشعر في ديوان المتنبي والبحتري وفي شهنامة الفردوسي بل وفي نهج البلاغة أيضاً من مقولة السهل الممتنع قد تبلغ حد الاعجاز ولكنه إعجاز فرد لأفراد وليس من الاعجاز القرآني في خل ولا خمر . إذ الاعجاز المذكور في دوحة البلاغة على ما وصفناه اعجاز شخصي لا اعجاز فرد لرجال الطوائف وطوائف الرجال أجمع وامتنـــاع وقوعه عادة لاذاتاً . . أما إعجاز القرآن بما أنه كلام الخالق فهو فوق قدرة الخلائق فلا يقاس بالاعجاز الذي ذكره علماء البلاغة ويتباهى به البلغاء . ثم ينبغي أن نضيف على ما ذكرناه من وجوه الامتياز إيجاز الكلام وسلامته من التنافي والتنافر وغرابة أساليبه وبلاغة تراكيبه وما يعد شبيهاً لهذين من جمال اللفظ وكمال المغزى ورصانة السبك وعذوبة السجع وحكمة التأليف والانسجام و . . و . . فانها بأسرها ثابتـة للقرآن ولغير القرآن من أشعار الادباء وسبائك الخطباء ومأثورات الحكماء والبلغاء .

فاذا اتضح لديكم وجوه الامتيـاز التي هي دون وجه

الاعجاز فلا غرابة ان لا يتضح عند العموم وجه الاعجاز لصعوبة ادراك الاعجاز وتساميه عن مدارك السواد الاعظم ولو كان الاعجاز سهل الفهم لكان استعماله في سبيل التفوق وصياغة الكلام العبقري سهلا أيضاً ولكنه كالملاحة قد تدرك ولا توصف فتراهم يصفون الكلام بالعبقرية والتفوق والاعجاز وهم لا يفقهون معانيها في الاكثر فأصبح من الضروري تقريب الافهام نحو هذه الغاية المقصودة والضالة المنشودة واختيار محك محسوس قريب الفهم سهل التناول كي يتسنى لكل أحد تشخيص الكلام المعجز من غير المعجز . مثلما يضع الصيرفي محكاً حسياً لديه ليعرف به الذهب من المذهب والنقد الصحيح من المزيف .

نعم لما تساهل أقوام من المناخين عن القرآن وإعجازه فعدوا من ذلك قسماً مما ليس به بل هو من وجوه امتيازه ، حيث التبس عليهم وجه الحق واختلط لديهم لون الوجه . لذلك اقتضى الاهتمام بالمحك الحسي الذي نوهنا عنه لنعرضه الآن على الطالبين وذلك هو الآية المتقدمة « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ١٧ : ٨٧ فتضع الوجه المشكوك كونه من مقولة وجوه الاعجاز مستقراً بين كلمة القرآن وبين كلمة لا يأتون فان تم الاقناع والاقتناع به كان من وجوه الاعجاز والا فهو من وجوه الامتياز مثاله إنا نشك في كون الانسجام وكون الكلام موافقاً لمقتضى المقام هل هما من وجوه الاعجاز أو هما من وجوه الامتياز فنضعهما في خلال الآية بين كلمة القرآن وبين كلمة لا يأتون فتقرأ هكذا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في الانسجام وموافقة مقتضى المقام لا يأتون بمثله » وبعد التأمل نرى هذا القول غير صحيح لجواز اتيان ذلك كذلك . وأما لو وضعنا كلمة الانباء الغيبية والجذبات الروحية في نفس هذا المكان وقلنا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في انبائه الغيبيه وجذباته الروحيه لا يأتون بمثله » . . الخ وجدنا المعنى صحيحاً ومعقولا ومقبولا .

فبهذا نعرف أن هذين الأخيرين هما من وجوه الاعجاز والأمرين السالفين ليسا إلا من وجوه الامتياز فكلما شك

فيه وضع في هذا المكان من الآية على المحك فان صح اتضح قبوله فهو من وجوه الاعجاز وان أباه العقل وعافه الذوق من أن يكون معجزاً للبشر خرج من دائرة البقرية والاعجاز ولنا محك ثان قرآني على غرار الاول نعرف به الوجه المشكوك كونه من وجوه الاعجاز وذلك آية البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ٢٣:٢ . الخ فان المحك الحسي القياسي هنا وضع المشكوك بعد كلمة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا فمن شك في حسن الاسجاع القرآنيـــة مثلا هل هو من وجوه إعجازه أو من وجوه حسنه وامتيازه وضعه بعد كلمة من مثله في الآية هكذا « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله في الأسجاع والقوافي - الى قوله - فان لم تفعلوا ولن تفعلوا . . الخ » فالمتأمل في هذا الكلام لا يتقبله بقبول حسن لجواز الاتيان بمثل أية سورة في اسجاعها ، اما اذا وضعنا في هذا المحل من هذا المحك كلمة البلاغة أو الجامعية وقلنا هكذا : « إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله في البلاغة أو الجامعية - الى قوله - فان لم تفعلوا ولن

تفعلوا » كان الكلام معقولا ومقبولا وتبين الغي من الرشاد وامتاز الخطأ من الصواب .

(ملحوظة) في التباس المانع بالسبب يصطلح: علماء الحكمة وأساتذة الفلسفة اسم « السبب » على كل شيء يؤثر وجوده في وجود المسبب كما يصطلحون اسم (المانع) على كل شيء يؤثر عدمه في وجود المسبب أو وجوده في عدمه مثاله : اجماعهم على ان النار سبب الاحراق والاختراق أي يلزم من وجودها متصلة بالورق احتراق الورق ويسمون الماء والتراب مانعين لأنهما من وجودهما بالورق يلزم عدم الاحتراق . وانطباق هذا الاصطلاح على وجوه الاعجاز والامتياز في مزايا آيات الذكر الحكيم واضح لدى المتأمل غير أن أقواماً من المفسرين قد التبس عليهم أمر المانع بالسبب فعدوا سلامة القرآن من التنافي والتنافر وجه اعجازه في حين أن وجود التنافي والتنافر من موانع الاعجاز وليس انعدامها والسلامة منها من أسباب الاعجاز . كما وان اجتماع الاسباب المتعددة في القرآن لتكوين عبقريته وإيجازه جائز غير ممنوع فكل شيء يجوز أن يوجد بسبب أو بأسباب وكل شيء يجوز انعدامه بمانع أو بموانع .

النظريات السبع للعلماء فى وجوه الاعجاز

عرضنا على الطلاب لمعرفة وجوه الاعجاز وتمييزها من سائر وجوه الامتياز في المحاضرة السادسة السابقة محكاً بديعاً صالحاً لتمحيص كل وجه مشكوك من وجوه الاعجاز ولما سبرنا مزايا القرآن البالغة نحو الثلاثين واختبرناها على ضوء هذا المحك القرآنى نجحت منها ستة صالحة لان نعدمن وجوه الاعجاز وهي :

(١) صدوره من أمي مثل محمد (ص)

(٢) بلاغته الفائقة

(٣) غرابة أسلوبه

(٤) انباؤه الغيبية الصادقة

(٥) جذباته الروحية

(٦) جامعيته لهذه الوجوه

وصادفت هذه الجهات الست ان لكل منها قائلين من ذوي العلم ومن وراء هذه الجهات الست جهة الصرف ومعنى

ذلك ازوجه الاعجاز صرف الله لوجوه البلغاء وألسن الأدباء وقلوب المعارضين عن الاتيان بمثله فهذه التي يسمونها جهة الصرفة الصرفة اصبحت النظريات في وجوه الاعجاز سبعاً نشير الى كل منها بايجاز :

الجهة الاولى من المحاضرة السابعة

جهة الامية التي اختارها الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم الشيخ البلاغي النجفي في آلاء الرحمان تبعاً لكثير من اهل العلم والمحدثين فقالا في آية البقرة (فاتوا بسورة من مثله) . . الخ يعود الضمير في مثله الى المبلغ ـ بكسر اللام اي محمد (ص) ـ لا الى المبلغ ـ بفتح اللام اي القرآن ـ.

نعم هذا الاحتمال جائز غير انه خلاف للظاهر في آيات التحدي الاخرى كآية (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) وآية الاسراء (لا يأتون بمثله) ١٧ : ٨٨ لذلك نقول ان الامية في المقام هي من وجوه الاعجاز حقاً ولكن لا على سبيل الانحصار ومنع الجمع اعني ان القرآن من وجوه اعجازه والاعجاب به صدوره من مثل محمد الأمي ربيب البادية البعيد عن حضارة الفنون . البعيد عن حواضر الحكماء . . البعيد عن محاضر العلماء كما اسلفنا البحث الضافي عن ذلك في آخر

المحاضرة الاولى ونفصلها تحت العنوان الآتي :

الاعجاز والامية

ليس شيء مما حول النبي العربي (ص) اوضح من تاريخه ولا ناحية من تاريخه اوضح من اميته . . بمعنى نفي القراءة والكتابة عنه كما فصلناه في اجوبة المسائل بالدلائل (١) ولم تك هذه الصناعة مسلوبة عن شخصه فقط بل كان عليه القوم والسواد الاعظم في ام القرى وحولها محرومين من هذا الكمال . . كما صرحت به آية الجمعة « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » . الخ . . واكدتها اية «وما كنت تتلو من قبله من كتاب .. ولا تخطه بيمينك..» ٢٩:٤٧ الخ . . والمراد من الكتاب في عرف القرآن « الكتابة » غالباً .

وبما ان اهل مكة اذ ذاك لم يكونوا اهل عناية بتعلم القراءة والكتابة . . ولا بتعليم اولادهم وافلاذ اكبادهم لندرة وجود الكتاب والكتاب . . وندرة الحاجة الى

(١) هذا الكتاب (الدلائل والمسائل) مجموعة موسوعة مؤلفة من عشرة مجلدات المصنف

ضبط الحساب لقلة المعاملات وكثرة الحفظ وقوة الذاكرة فيهم . نشأ محمد (ص) كآبائه واقربائه بعيداً عن الكتابة والدراسة ..

وتاريخ الحجاز في دوره الجاهلي .. ومحيطه البدوي .. يموج بالشواهد المثبته لهذه الحقيقة الراهنة - اعني امية النبي وقومه بالرغم من مغالطات قساوسة الغرب والمستغربة .. وتشبثاتهم بمنقولات مراسيل عن مجاهيل أو انتحالات ابن ابي العوجاء واشباهه .. كل ذلك لاغراض وامراض يربأ القلم عن ذكرها ..

وهدفنا الآن توضيح اعجاز القرآن من جهة أمية مبلغه وسفيره (ص)

(مثال طبيعي) : الشعب الواثق بان سفيره لا يقرأ ولا يكتب .. ولا يخون ولا يكذب ولم يعهد منه قيل الشعر . ففي وضع راهن كهذا لو يفاجئهم سفيرهم بكتاب فذ في الكتابة والانشاء والاملاء .. وادعى انه مرسل به من ناحية السلطان .. فان الشعب ضروري ايمانه واذعانه له .. وعدم اتهامه بانه المباشر لهذه الفرية .

هكذا شأن القرآن ومبلغه الأمي الامين (ص) ونتيجة القول الواضحة كشمس الضحى أو اوضح، ان محمداً (ص) قام قبل الف وقرون بالتحدى بعد التصدي لاتيان كتاب هو (هذا القرآن) .. في عبقريته اللامعة .. وبلاغته الجامعة لمقتضى الحال والمقام .. وفصاحة رائعة وقصص نافعة .. وتشريع كامل .. وقانون قضاء عادل .. وانباء غيبية عن الحوادث الآتية وعن القرون الخالية والامم الماضية .. فوق مافيه من حكمة سامية .. وتربية آداب عالية .. وتوحيد أممي لاصلاح عالمي و ..و..

لقد جاء قومه بمثل هذا القرآن وبلاده آنذاك جرداء بلا مراء كبعض القرى الوحشية ببطنان بوادي افريقيا وخلواً من وسائل العلم والعمران وأهلوها البسطاء صفر الكف من وسائط الرقي والحضارة .. نعم كان الحجازيون ترتكز دائرة معارفهم (انسكلوبيديا) في اسواق عكاظ ومواسم الحجيج والنوادي على ما يأتي :

(١) انساب القبائل والخيل

(٢) قصائد واشعار في التهاني والمراثي و ..و..

(٣) اقضية العارفات

(٤) سحر النفاثات

(٥) التحدث بالخرافات من وثنيات وحكايات و ..و..

(٦) القيافة والعرافة و..و..

(٧) تأويل الاطياف

(٨) انواء النجوم واسماء كوكبات الكواكب مع الظواهر الجوية فقط .

(٩) موسيقاهم : حدي الابل (اذا اول من تفنن في الموسيقى بعهد الامويين ابن سريج)

(١٠) طبهم : الكبي والميسم وعقاقير الحشايش (كالتي عند الصلبة)

فناشدتك الشرف والضمير هل في قدرة المتخرجين من هذا المعهد البسيط بتمام معاني الكلمة واستطاعة الناجح من هذا الحقل القاحل ان يبرز مهما كانت براعته أو براعته فذة ذات عبقرية فائقة كتاباً كالقرآن الذي قرأناه ووصفناه من قبل . (على شريط أن تكون هذه الاطروحة لهذا المتخرج من نفسه لا من وحي ربه) وهل في مستطاع ابناء هذا

المعهد الحجازي الذي وصفناه تأليف سفر كهذا، يقول في بلاغته مثل الدكتور شبلي شميل :

ببلاغة القرآن قد خلب النهى رب الفحاحة مصطفى الكلمات

أو يقول في بلاغته الفائقة مثل كوزان دي بيرسوفال: «والعقل يحار كيف يتأتى ان تصدر تلك الايات من رجل امي وقد اعترف الشرق قاطبة انها آيات يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى» . . الخ

وهل في مقدرة المتثقف من مدرسة القفار القاحلة قبل الف وقرون تأليف كتاب كالقرآن ينم عن اصول الطب والطبيعة واسرار كائنات الأرض وكامنات السماء ذلك الكتاب الذي يقول فيه مستر رينورت : «يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية (*) والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن». الخ او هل يستطيع امي قضى نشأته الأولى صبياً ويافعاً بين رعاة الأبل والاغنام بعيداً عن مركز المدنية وحضائر

(*) ومن شاء تفصيل هذه الأبحاث والموافقة بينها وبين القرآن فليرجع الى كتابي الهيئة والاسلام . والشريعة والطبيعة للمصنف

المعارف .. بعيداً عن حواضر الحضارات وبعيداً عن محاضر علماء الاخبار والآثار . فيظهر للناس كتاباً عن الناس مسنون فيه قوانين القضاء وآداب المجتمع بحيث تقتبس منه طيلة الف وقرون والى ما لا يعرف مداه من المستقبل علماء وقضاة وحكام ومؤتمرات تشريع الاحكام . فلو سمحنا للقلم لأوجد السأم في اشباع المقام من شواهد تأييد هـذه الدعوى اي دعوى اعجاز القرآن من ناحية أميـة سفيره المصطفى محمد (صلى الله تعالى عليـه وعلى آله الطاهرين وصحبه المرضيين

الجهة الثانية من المحاضرة السابعة

جهة البلاغة العالية في القرآن ومزاياه السامية وهذه الجهة مختارة الجمهور وهو رأي مشهور منصور يعتمد عليه الأدباء واساتذة العربية وائمة التفسير والحديث حتى المخالفين للقرآن في القديم والحديث وبما انني أرى الفصاحة صنعة للفظ ترتكز على الجوارح من فم ولسان واصوات واسنان والبلاغة صفة للمعاني اولا وبالذات ثم تعرض القول وقائله

وبالواسطة وترتكز على العقل والعقليات والنفس والنفسيات فهذه اي البلاغة تتعلق بالقضية المعقولة اكثر كما ان الفصاحة تتعلق بالقضية الملفوظة اكثر ، ولما كانت عوالم اللفظ لا بتنائه على الحروف محدودة مهما توسع وتوسعت فعالم المعنى لا بتنائه على الصور الذهنية والشؤون الروحية والخوالج النفسية فهو غير محدود وغير متناه فمن أجل ذلك نرى ان البلاغة الذوقية المعنوية هي اوسع نطاقاً بكثير مما يتصوره البلغاء في آي الذكر الحكيم وسوف تتوسع الأجيال الآتية في اسرار بلاغة القرآن بأضعاف ما توسع الأولون فالبلاغة المعنوية بحر لا قرار له ولا ساحل كما اشارت اليه آية: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ١٨: ١٠٩ وكذلك نرى ان لغة القرآن احوى من غيرها وأوفى ببيان الشؤون الروحية والخوالج النفسية فمن هذه وتلك نحكم بان بلاغة القرآن الذوقية المعنوية أوسع جداً مما قاله البشر فيما مضى وفيما حضر وعلى هذا الاساس يظهر للمتأمل المنصف ان القرآن ابلغ كتاب رآه الانسان واوفاه ببيان الشؤون الروحية

والخوالج النفسية وبطبيعة الحال يعجز من يباريه عن اتيان مايدانيه . أجل في القرآن بلاغة فائقة لاتذكر واهل العلم جلهم او كلهم مؤمنون مذعنون ببلاغته الفائقة ولكن هل هي البلاغة التي يصفها علماء المعاني والبيان والبديع واساتذة البلاغة من انها موافقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال والمقام او المشتمل على المحسنات البديعية أو هي من الذوقيات التي تدرك ولا توصف كالملاحة والحسن، بما ان بلاغة القرآن او القول العربي البليغ خلقت علوم المعاني والبيان وليست هذه العلوم خالقة القرآن كما ان القرآن هو الذي خلق النحو والصرف وليس الصرف والنحو أولدا القرآن حتى نجعلها محكا لهذا القرآن ، فالقرآن هو المحك الذي يعرض عليه ويرجع اليه في قواعد الصرف والنحو وآداب الفصاحة والبلاغة ومحاسن النظم والنثر وينبغي لهذه العلوم مشايعة القرآن وليس على القرآن ان يشايع هاتيك فاذا سمعتم من افواه المخالفين او قرأتم من اقلامهم الأثيمة شبهات حول آية كريمة خلافاً لما تقرر في هذه العلوم فراجعوا لمعرفة الجواب عنها كتب التفاسير ولاسيما الكشاف والمحيط وحجة الاسلام (١) وغيرها

(١) كتاب مخطوط للمؤلف في التفسير في عدة مجلدات

ولو سلمنا جدلا تقليد اساتذة البلاغة ومشايعة أقطاب فنون الشعر والنثر في سير آي الذكر الحكيم على اصول هذه العلوم وما يدركون فنقول : تجدون في كتاب السبع المثاني مثلا من وجوه بلاغة القرآن ومزايا آياته المشتملة على أسرار من العلوم العالمية وتفننها في موافقة الحال والمقام نحو سبعين وجهاً من وجوه البلاغة في سورة صغيرة الحجم كالفاتحة، عشرة منها في أصغر آية فيها أعني « مالك يوم الدين » ولكن هذا كله بحسب استعداد المؤلف ومبلغ علمه ومقدار فهمه او بحسب استعداد السامعين والمطالعين وليس هذا القدر هو كلما يتحمله لفظ القرآن بحسب افهام علماء البشر في مختلف الازمنة والامكنة وأننا نورد آيتين معروضتين لديكم على محك البلاغة العالية لتكونا مثالين يحتذا بهما ويقاس عليهما فيما يسمونه وجوه البلاغة ظاهراً ومن ذا الذي يعلم انحصار وجوه البلاغة بهذا الذي ذكروه او بالذي يرد على خواطرهم بمرور الزمان .

آيتان على منضدة التشريح

نقدم الى منضدة التشريح لمزايا القرآن آيتين : الاولى

(آية أم حكاية : واوحينا الى ام موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم يلتقطه عدولى وعدو له ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » ٢٨ : ٦

لقد جمعنا حفل ببغداد الى بعض فضلاء الذميين ، والمذياع يتلو علينا هذه الآية فاعجب الذمي ببلاغتها وبجودة تلاوتها فحدثته ان احد العلماء سمع بالكوفة جارية فاعجبته فصاحتها وبلاغتها فقال ما ابلغك من ناطقة فقالت له الجارية: مه ياشيخ ماترك القرآن لغيره ظهور البلاغة اما سمعت آية (واوحينا الى ام موسى) الخ . كيف جمعت على وجازتها ابدع الايجاز خبرين وانشائين وامرين ونهيين ووعدين فأعجب الجميع حسن بيان الجارية وادبها الجم فقال صاحبنا الذمي الآية آية كما الجارية آية فقد اتت بما يعجز عن الآتيان بمثله كل احد . . فقلت كلا . . فاني الآن اتيكم باكثر مما اتت او نحوه . فان الآية جمعت فعلين من الماضي (اوحينا وخفت) وفعلين من الامر (ارضعيه والقيه) وفعلين من النهى (لاتخافي ولا تحزني) ووزنين من اسم الفاعل (رادوه وجاعلوه) ووزنين من اسم المفعول اى

(موسى - بمعنى المنشول من الماء - والمرسل) ثم اسمين من الصفه المشبهة وهو (العدو) المتكرر وكان بامكانه ان يقول عدو لى وله ثم اسمين خاصين (موسى وامه) ثم تكرار فاء الجواب مرتين ولام الاختصاص مرتين وحرف (الى) مرتين ثم اعادة الخوف مرتين وتعبيره عن ام موسى باسم مزدوج بدل ان يسميها باسمها الخاص . وثم فيها نبئان غيبيان : احدهما الاخبار بالتقاط عدوه والثانى الخبر برد موسى الى امه ووعدان بالرد والنبوة ولعل هذا الوجه المزدوج هو المرجح لسبك اربعة عشر امراً مزدوجاً فطار الذي طرباً وفرحاً من شدة اعجابه واستغرابه وصار مع الذين حضروا يكررون القيام والقعود من شدة الاعجاب وقوة الاعجاز

(الآية الثانية) او مثال البلاغة السامية

« وقيل يارض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين »

١١ : ٤٦ هي التى شغلت بال باقمة الادباء عبدالله بن المقفع وهي التى أنزلت فأنزلت قريش معلقاتها السبع عن جدران

الكعبة وقد علل أساتذة البديع بلاغتها باشتمالها على صنعة الابداع وقال العلامة الشريف السيد علي خان المدني في كتابه «انوار الربيع في محاسن فن البديع» الابداع بالباء الموحدة هو ان يكون البيت من الشعر او الفصل من النثر او الجملة المفيدة مشتملا على عدة ضروب من البديع ولم يوجد مثل هذا النوع من الكلام مثل قوله تعالى « وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين » فانها اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعاً من البديع وهي سبعة عشر لفظاً :

١ ـ المناسبة التامة بين ابلعي واقلعي .

٢ ـ الاستعارة فيها .

٣ ـ الطباق بين الارض والسماء .

٤ ـ المجاز في قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر السماء

٥ ـ الاشارة في (وغيض الماء) فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء فغيض الحاصل على وجه الارض من الماء .

٦ ـ الارداف في قوله واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى

٧ ـ التمثيل في قوله : وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن المعنى الموضوع.

٨ ـ التعليل فان غيض الماء علة الاستواء .

٩ ـ صحة التقسيم فانه استوعب اقسام الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذي على ظهرها .

١٠ ـ الاحتراس في قوله : «وقيل بعداً للقوم الظالمين» اذ الدعاء يشعر بانهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم ان الهلاك لعمومه ربما شمل غير مستحق .

١١ ـ المساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها .

١٢ ـ حسن النسق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب .

١٣ ـ إئتلاف اللفظ مع المعنى لأن كل لفظة لا يصلح معها غيرها .

١٤ ـ الايجاز فانه تعالى امر فيها ونهى واخبر ونادى

ونعت وسمى واهلك وابقى واسعد واشقى وقص من الانباء ما لو شرح لجفت الاقلام .

١٥ ـ التفهيم لأن اول الآية يدل على آخرها .

١٦ ـ التهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن . كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب .

١٧ ـ حسن البيان لان السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه .

١٨ ـ الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي .

١٩ ـ الكناية فانه لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضي الأمر وسوى السفينة ولا بمن قال وقيل بعداً كما لم يصرح بقائل يا ارض ابلعي ويا سماء أقلعي في صدر الآية ، سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تتأتى الا من ذي قدرة قهارة لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون غيره جلت عظمته قائل يا ارض ابلعي ويا سماء أقلعي ولا ان يكون غايض ماغاض ولا قاضي مثل

ذلك الأمر الهائل غيره .

٢٠ ـ التعرض فانه تعالى عرض بسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً وان الطوفان وتلك الامور الهائلة ما كانت إلا لظلمهم .

٢١ ـ التمكين لان الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاة .

٢٢ ـ الانسجام لان الآية بجملتها منسجمة كالماء الجاري في السلاسة .

٢٣ ـ الابداع الذي هو شاهد المقام وعنوان هذا النوع الجامع . وفي هذه الآية الكريمة تفريعات أخر مثل ان الاستعارة منها في موضعين والمجاز في موضعين وصناعات أخرى في أجزائها الكثيرة وامثال ذلك مما يستنبط بقوة النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير . . وقد افردت بلاغة هذه الآية بالتأليف . . وفي كتاب العجائب للكرماني اجمع المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد ان فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في

تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال الخ . . انتهى كلامه رفع مقامه.

ولقد اضفت على هـذه الوجوه الوجيهة عدة وجوه أخرى لتكملة الثلاثين هى :

٢٤ ـ اشتمالها على بعض البحور الشعرية اذ قوله (وقيل يا ارض ابلعي ماءك) على وزن مستفعل مستفعل فاعل . ويا سماء أقلعي على وزن مفاعل مفاعل .

٢٥ ـ مثال من الموشح وادخال بحر على بحر كما قلناه فى في آية (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي ، فطر الناس عليها) .

٢٦ ـ تنزيل من لا يعقل منزلة من يعقل في النداء والمخاطبة في (يا ارض ويا سماء) .

٢٧ ـ الايهام فى قوله استوت على الجودي وهو اسم الجبل الصغير والزق المنفوخ الذي تستقر عليه سفائن مائيه .

٢٨ ـ محافظة السجع والروي في قوله: بعداً للقوم الظالمين كفواصل الآي قبله وبعده .

٢٩ ـ التكرار كما في الماء معرفاً باللام وبالاضافة .

٣٠ ـ تخيل مالكية الارض للماء بحيث لها سلطة في استرجاعه ٠٠و٠٠و٠٠

ولو شئنا ان نضيف المحاسن البيانية على المحاسن البديعة وسائر الصنائع الاصطلاحية مع افراد جملة من المزايا المتداخلة فيما ذكر لتجاوزت الاربعين وفاضت ثم فاضت ٠

غير اننا ننظر الى بلاغة الآيـــة بمنظار الذوق المعنوي دون هذه المصطلحات الصناعية وذلك الذوق المعنوي ممزوج بالخوالج النفسية والهواجس الروحية واشارات واشعارات تحت تأثير العقول ٠

ولو توجهت افكار العلماء الحكماء والبلغـاء والادباء الى استنباط المزايا العلمية واسباب الجـذبات الروحية في جملة الآيات وجملها لاضافوا على هذا الجمال الصناعي الذي رسمناه جمالا طبيعياً وعبقرية كاملة شاملة تجعل القرآن حرياً بأن يسمى كهرباء القلوب ومغناطيس الارواح ٠

الجبهة الثالثة من المحاضرة السابعة

الاعجاز وغرابة الاسلوب

غرابة الاسلوب صفة تميز الكلام وتوجه نحوه الرأي

العام وقد غالى بعض اهل الأدب من العرب وغير العرب فى قيمة هـذه الميزة فعدوها من وجوه الاعجاز وحتى فى آى الذكر الحكيم وسوره. غير ان الغرابة في الأساليب غير واضحة المفهوم لا موضوعاً ولا حكماً فلا غنى لنا من كشف النقاب عنها بوسيلة اقوال القوم وتمثيلاتهم ولو فى الجملة.. نعم.. فدنرى الذين يجنحون الى غرابة الاسلوب في الذكر الحكيم قد يتمثلون (أ) بالحروف المقطعة في فواتح السور واستعمال القرآن لها كرموز والغاز تدهش ذوي العقول بأفتتاح القرآن بقاف او نون او حم او الم او ص او الف لام ص و كهيعص، وسنورد الوجه الوجيه في كل ذلك بمحاضرة قادمة (ب) وقد يتمثلون بغرابة الالفاظ والاسجاع المفززتين للاسماع والطباع نحو كلمة (مدهامتان) (والخنس الكنس) (والخناس والناس) والتحول من سجع النون الى الجيم ومن الجيم الى الميم ومن تكرار «الرحمن الرحيم» وتكرار (اتقوا الله واطيعوه) وتكرار (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فوق المبالغات الغريبة والاستعارات العجيبة.

ج: وقد يتمثلون بغرابة الأسلوب بكثرة تحولات القرآن الحكيم من اسلوب النصيحة والوصيه الى اسلوب سن القوانين او الترسل والتوسل . ومن اسلوب التأديب والتعليم الى اسلوب الروايات والقصص والامثال وتواريخ الاجيال وهكذا .

بينما اساتذة الانشاء واصحاب الاقلام قسموا الاقلام الى سبعة : ـ

١ ـ قلم الترسل ، وقلم الاستعطاف والتوسل .

٢ ـ قلم الوصايا والنصائح والمواعظ .

٣ ـ قلم التأريخ وكشف الاحوال وسير الاجيال والاقيال .

٤ ـ قلم التأليف والتصنيف البسيط .

٥ ـ قلم سن القوانين وفقه الاحكام .

٦ ـ قلم الشعر ومحسناته البديعية وامتياز البيان .

٧ ـ قلم الرموز والالغاز والاحاجي والاسرار .

وهذه الاقلام يختص كل منها بحدود وقيود واحكام فصلناها في كتاب « الدلائل » وجرت عادة البلغاء والكتاب

على توجيه كل واحد من هذه الاقلام على اسلوب خاص ولون مخصوص من الوان الانشاء واختصاص الكاتب بواحد منها فالذي يؤلف في سن القوانين وشروحها لا يؤلف منه ان يجري على سبك الترسل كالذي يترسل في التهاني لا يؤلف منه ان يجري على سبك المراثي بينما القرآن لا يختص باسلوب واحد بل يجمع وربما يمزج هذه الاساليب بين آية وآية وبين سورة وسورة حسب مناسبات الحال والمحل. فلا هو كله على شاكلة الترسل ولا هو كله على شاكلة الوعظ ولا هو كله على شاكلة انشاء القوانين. والتأمل في هذه الامثلة وما تمثل به هؤلاء الطوائف بالاضافة الى ماسنذكره عن الوليد بن المغيرة المخزومي شارحاً لمقاصد القوم من غرابة الاسلوب واضحة من حيث الحكم والموضوع.

نعم ان أول من تنبه ونبهه الفطن على غرابة اسلوب آي الذكر الحكيم هو ابو خالد الوليد بن المغيرة شيخ بني مخزوم. (فشهد شاهد من اهلها) وهو من بلغاء عصر الوحي ونزوله، وشيوخ قريش وعوارف العرب في الادب الجاهلي والخبراء بصناعة الانشاء فقد نشر رأيه بادىء بدىء حول القرآن في سبيكته المشهورة وكلمته المأثورة. (لقد سمعت

من محمد كلاما لاهو من كلام الانس ولا الجن . وان فيه لحلاوة ،وان عليه لطلاوة . وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلا) .

وحري بنا ان نعلق على هـذه المعلقة او بالاحرى على أول تقريض ناله القرآن من خبراء عصره ومصره . وان حملها المحدثون الينا عارية عن التفسير (فرب حامل فقه الى من هو افقه) ولعمري انها شهادة حاله مأكدة بان المشددة ست مرات كشهادات ست قيمة : ـ

١ ـ ان القرآن لايشبه كلام الانس ولا كلام الجن وليس منهما في شيء . مؤداها أنه من كلام الخالق دون الخلائق وبيان هذه الجملة المجملة ان المعروف من كلام الأنس المنثور سبك العبارات غير مقيدة بالاسجاع والقوافي فاذا أتوا بها لم يلتزموا بهن متقاربة قصيرة الخطوات بخلاف كلمات الجن التي سمعوها على السنة الكهنة كجمل بجملة صغيرة الحجم كثيرة المقاطيع مقرونة بأسجاع وقوافي (تضاهي لزوم مالا يلزم) وعليها مسحة من غرابة الالفاظ ومجانسة الحروف وغموض

المعاني ـ راجع كلمات سطيح الكاهن (١) ونحوه ـ فلوح الوليد الى ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل الشبيه بكلام الكهنة المترجمة لغة الجن والشياطين ولا هو على اساليب كلام الناس . اوليس ماحظاً من هذا ولا ماحظاً من ذاك.

٢ ـ ثم قال الوليد (ان فيه لحلاوة) يعني انه شهي جذاب النفوس جلاب الميول خلاب العقول ترتاح اليه الارواح .

٣ ـ قال الوليد (وان عليه لطلاوة) يعني محلى بحلل المحسنات البديعية والميزات الشعرية وملبس بتزينات الفاظ وانغام.

٤ ـ قال الوليد (وان اعلاه لمثمر) يعني ان القسم المتفوق منه حاوعلى الحكمة العالية والثمرات المعنوية الباقية.

---

(١) ومما قاله ربيع الذئبي الشهير بسطيح لابن اخته عبد المسيح حول علامات ظهور النبي العربي(ص): يسيح عبد المسيح ، على جمل مشيح ، اقبل الى سطيح وقد اوفى على الضريح ، يبعثك ملك ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعاباً تقود خيلا عراباً حتى اقتحمت الواد وانتشرت في البلاد ، عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وغاض وادي السماوه وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشامات يملك منهم ملوك وملكات بعدد ماسقط من الشرفات وكل ماهو آت آت : الخ ...» عن دائرة معارف القرن العشرين »

٥ ـ « وان اسفله لمعذق » اي الذي يعد منه في الدرجة العادية لايخلو ايضاً من الثمر غير ان التعبير عن هذا الثمر بالمعذق (بعين مهملة وذال معجمه او بالعكس) لابد وانه منطو على فن من دوحة البلاغه فان الثمر يطلق غالباً على الناضج الرائج . كالليمون في موسم اقتطافه . واما المعذق المماثل لعذوق التمر في النخل او عنقود العنب فانه يطلق غالباً على مايدخر في عذوقه ليوم لحوقه او نضوجه وجفافه وادخاره لفصل الشتاء وآخر السنه .

ويجوز ان يفسر المعذق بالمتشعب يعنى ان القسم العادي في القرآن معذق اي متشعب الوجوه والمعاني كما قال فيه الامام علي (ع) « ان القرآن حمال ذو وجوه » يريد بذلك القسم المتشابه دون المحكم الذي لايظهر منه سوى معنى واحد وبهذه المناسبة وصف الوليد محكمات القرآن بالاعلى وسمى المتشابه منه بالاسفل اى بالنسبة الى سمو الاول وشبه ماتخيله الاسفل بالمعذق لان عذوق الكروم وعناقيد اعنابها تتشعب على سطح الارض فهي كالاسفل بالنسبة الى الثمرات الاخرى التي تعلو الشجر .

وهذا الخبير الكبير يشير الى ان القرآن مهما كان آية في البلاغة والغرابة ففيه القسم العالي كما وفيه القسم العادي حسب الامثولة المنقولة :

« خليس يا ارض ابلعي كآبتي أبي لهب »

وكلاهما اي العالي والعادي لايخلو من الفائدة والعائدة لكنهما يفترقان بأن العالي يحمل الفوائد حالا واستقبالا « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين » .

وأما القسم الآخر فانه كالمتشابهات تحمل علوماً عالية لابناء الأجيال الآتية كالتمر والزبيب المدخر في عذوقها لفصلي الخريف والشتاء كما سنفصل هذا البحث المزيد في محاضرة تخص اسرار المتشابهات القرآنية .

٦ ـ قال الوليد . « وانه يعلو وما يعلا » هذه الشهادة الاخيرة منه كالاولى اقرار بأن القرآن ذو بلاغة فائقة متفوقة على كل كلام بليغ و معجز لكل من يتطلب مباراته ومجاراته « والفضل ماشهدت به الاعداء » .

واشارة ضمينة الى انه حق ومن الحق كالمأثور « الحق

يعلو ولا يعلا عليه » . ولولا اشعار القرآن المجيد بذم الوليد واعلانه الحرب على الاسلام لجاز ان نعتبره من المؤمنين سراً بالقرآن الحكيم ورسوله الكريم .

الجزء الرابع من المحاضرة السابعة

أ ـ الاعجاز و انباء الغيب

اسلفنا في ابحاث سابقة وجوه الاعجاز في هذا القرآن الذي هو المعجز الخالد والبرهان الجلي على صحة الاسلام وصحة دعاوي مبلغه الأمين (ص) ومن الضروري لترصيص اسس هذا المبحث القيم وتوضيح امره ان نشرح معنى النبأ والنبي ومعنى الغيب والشهود وسر الاعجاز والمعجز وكيف يعد شاهداً طبيعياً وبرهاناً جلياً يتم به الغرض في الاقناع والاقتناع .

وهذا الموضوع موضوع الاعجاز من ناحية الانباء الغيبية عقيدة راسخة في البشر ولاسيما اهل الأديان من موسوي وعيسوي ومن قبلها ومن بعدها . وربما عد هذا الشاهد الطبيعي من المشاهدات عند المنطقي او مما يشهد

به الوجدان العام لدى الفلسفي . والنبأ في العرف العربي خبر خطير يستدعي الاهتمام به بالنظر الى غاياته وآثاره فهو اخص من مطلق الخبر وبه سمي النبي نبياً لأنه منبيء بالخبر الخطير من انذار اوتبشير . والتنبؤ اخبار بالغيب لأنه اظهر افراد الخبر الخطير واعظم مصاديق النبأ العظيم . والغيب في العرف العربي اسم لمعنى يقابل الحضور وضدالشهود . كما في القرآن (عالم الغيب والشهادة) وفي الحديث النبوي (الا فليبلغن الشاهد الغائب) وفي كلام الامام علي (ع) (شهود كالغيب وقد توسعنا في ذكر الشواهد بتفسير هذه المواد في كتاب « نبأ الغيب والريب » .

والشهود كناية عن اتصال الحواس بالحاضر لديها وهو المراد من الحضور ايضاً فالغيب كالغائب مالا يتصل به الحس وبه سمي المسافر غائباً وخلافه حاضراً فالنبأ الغيبي بناء على ماعرفت هو النبأ الذي لا يتصل بالمحسوس لديك فعلا وإن كان أصله محسوساً من قبل ثم غاب كالمسافر او بالعكس كالمولود الذي كان في غيابة الرحم محجوبا عن الحواس ثم ولد بعد فصار محسوساً بين الناس . ورب امم دوخت الأقيال

ورب جراثيم لأمراض كانت محجوبة او لاتزال محجوبة عن الحواس ثم في مستقبل الاجيال تقوى الآلات على استكشافها فتصير محسوسة مشهودة . ورب طعام يقصر عن شمه حس الانسان والحيوان الا النمل الذي فاق حسه على غيره فيهتدي اليه ولا يغيب عنه، او كحبة من خردل لاتغيب عن الغراب لحدة بصره بينما هي غائبة عن غيره ، او صوت متحرك فى دياجير الظلام لايغيب عن احساس الفرس لقوة سمعه بينما يغيب عن غيره . فالغيب معنى واسع التفاوت بحسب الظروف قد يصدق على الشيء فى حال دون حال . ولكن الذي نقصده نحن وبصدده نحاضر ونحرر انما هو الخبر الذي لايدركه الحس ولا يحكم به الفن

ب ـ انواع المغيبات

بعد اطلاعكم على معنى الغيب وتفاوت انباء الغيوب وعلاقتها بمباحثنا حول الاعجاز القرآني حري بنا الآن ان نشير الى انواع المغيبات القرآنية وهي ثمان .

الاول : الخبر عن الله سبحانه وصفاته الحسنى وتدبيره الاسنى وهو الأول والأولى بالذكر وبتمام معاني الكلمة كما هو اجل واجلى مظاهر الغيب بل هو غيب الغيوب اذا كان الغيب بمعنى المحجوب والقرآن كله او جله باحث عن الخالق وصفاته وآياته و كلماته .

الثاني : الخبر عن الروح والروحانيات وملائكة الله في عوالم الارضين والسموات وقد فصلنا القول في هذا البحث اللطيف في «الكتاب المفتوح عن الرب والملائكة والروح .»

الثالث : الخبر عن أمم قد خلت من قبل وطوى حياتها الزمان وادرجها في خبر كان . وكم في مواعظ القرآن آيات بينات حول الامم الماضية في القرون الخالية .

الرابع : الخبر عن شؤون البشر في مستقبل ادواره واطواره والأشعار بالملاحم والفتن واحداث في مستقبل الزمن و بعد نزول الوحي كآية (ألم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الخ) ٣٠ : ١ ومثل هذا منتشر في آي الذكر ذكرناها في « الهدية المحمدية » .

الخامسة : الخبر عن شيء قريب محجوب حجبته عن الحواس حجب كثيفة لولاها لم تحجب ولم تتغيب كالمستور في ظلمات الارحام وتحت اطباق الثري : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير » ٣١ : ٣٤ . وآية النمل . « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء . . » ٢٧ : ٩٠

السادس : الخبر عما تغيب عن الابصار بسبب البعد الشاسع ذلك البعد الذي يجعل الشيء صغيراً اومستوراً عن ادراك الحواس المجردة عن التسليح بالادوات والنظارات كانباء النبي لاجرام القضاء وشؤون مافي السماء .

السابع : الخبر عن شؤون الاحياء بعد الموت في البرزخ وحالة الارواح قبل المعاد وبعده من نعيم او جحيم والقرآن يموج بهذه المعاني الغيبية في آياته وسوره .

الثامن : الخبر الذي لا يرشد اليه الحس من أي أنسان ولا يحكم به العقل في اي زمان لولا اخبار المخبر الصادق

كالخالق مثلما في آية الشورى « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ٤٢ ٢٧ » .

تكملة : النبأ الغيبي الذي هو معجز النبي انما هو خبره الذي لا يرشد الفن اليه ولا يدل الحس عليه مثلما في سورة الكوثر وان شانئه (العاص) سيصبح الابتر . وان نسل النبي يكثر ونحو ذلك مما لا مدرك له من الحس ولا من الفن ثم يصدقه الوجود .

ومثل هذا الخبر المصدق لابد وان يستقصي من وحي الله وعلمه وإعلامه وعلى هذا الاصل الاصيل المسلم بين بني الانسان في كل جيل وقبيل صحت النبوات وتفاضلت الديانات .

اضافات على الانباء الغيبية

مرت الاشارة على انواع المغيبات القرآنية باختصار وتقضي علينا مصلحة التأكيد والتوضيح اضافة آيات من انواع المغيبات على ماتقدم ذكره نقتصر الآن على عشر :

١ ـ آية الاسراء « قل لئن اجتمعت الانس والجن على

ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » ١٧ : ٨٧ فأنه في بداية امره بمكة يخبر العالمين بأنهم لايستطيعون الاتيان بمثل هذا القرآن مهما تظاهروا وتناصروا وحتى اليوم ينقضي على هذا التحدي والتنبؤ الف وقرون صادقاً في وعده وعهده ونظيره هذه الآية: « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ـ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (٢:٢٣) » فتنبأت بالنفي المؤبد او النفي المؤكد . وصدقت هذه النبوة .

٢ ـ آية البقرة « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولي وجهك شطر المسجد الحرام . . ٢:١٣٩ » فبنى النبي الامي قبلة مسجده في يثرب على مبنى اتجاه الكعبة واليوم نجد هذا المحراب الموجود الذي لم يتغير عن وضعه المعهود مواجها بادق الخطوط الجغرافية للمسجد الحرام في مكة بشهادة الفنانين المختصين .

٣ ـ آية « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ٢:٣٠

اذ تخبر عن بشر منقرض قبل خلق آدم وحواء ونسلها ولم يبق منهم الا تحدث الملائكة عنهم .

٤ ـ آية يونس « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . . » ١٠ : ٥ وهي نص في تركب ضوء الشمس من عدة اضوية مختلفة الالوان كما قرره اسحق نيوتن الانكليزي المتوفى سنة ١٩٣٧م بعد نزول هذا الوحي بنحو الف سنة نعم كما يجمع السهم على سهام والنبل على نبال والنمل على نمال والرمل على رمال و . . و . . كذلك يجمع الضوء على ضياء وقد إنكشف في فن الفيزياء ان الضوء بعضه احمر ماحض وبعضه اصفر ماحض وبعضه اخضر ماحض و . . . و . . . فاذا اجتمعت هذه الالوان من الانوار تولد نور ابيض كنور الشمس المركب من عدة اضواء والوان وهذا القانون الطبيعي اشعر به القرآن كنبأ غيبي دون ان يتوصل اليه النبي العربي الامي بقواعد فنية او بشواهد حسية او بآلات دقيقة صناعية وهذه الحكمة السامية شرحناها في كتاب « المعارف العالية » .

٥ ـ آية « والسماء والطارق وما ادراك ماالطارق النجم

الثاقب » ٨٦ : ٣ فكشفت الستار عن الرجوم ونجوم مذنبات بتفسير الامام علي (ع) لسائل عنها اذ قال « نجم يطرق سماء سماء حتى يبلغ السماء الدنيا ثم يكر راجعاً » فليس المراد نور النجم الذى لايختص هذا الوصف منه نجما معيناً يهتم القرآن بمعرفته وادراكه . حسب مافصلناه في « الهيئة والاسلام » .

٦ ـ آية « وكل في فلك يسبحون » (يسن) المشعرة بان الأجرام السماوية كل واحد منها يسبح جارياً في فلك خاص ومدار مخصوص وهذا شيء يوافق علم الفلك الحاضر دون العلم الغابر .

٧ ـ وآية يسن « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون » فانها صرحت قبل الف وقرون بالزوجية العامة بين النباتات والحيوانات وبين انواع لم تعرف من قبل وكل معاني هذه الآية الكريمة تحققت في العلوم الجديدة مخالفة للفنون القديمة .

٨ ـ آيات تحرك الارض كقوله سبحانه « الذي جعل لكم الارض ذلولا » فالذلول نوع معروف من الابل سريع السير ناعم المشى

على مناكب الارض الصعبة ويشعر هذا التشبيه حالة الارض في السير مع ركبها في المشي على مناكبها وقبل ان يفوه امثال « غاليلو » الايطالي و« كوبرنيك » الالماني بتحرك الارض

٩ و١٠ ـ آتي ناموس الجاذبية العامة التي شرحناها مفصلة في كتاب « الشريعة والطبيعة » وهما « اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير » ٦٧ : ١٩ ثم آية « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . . . » ١٣ : ٢ فهي تشعر بارتفاع اجرام السماء والسماويات بنسب من التباعد بعواميد غير مرئية من خطوط الجاذبية العامة من قبل ان يفوه بذلك الاستاذ « نيوتن » الانكليزي وقد شرحناها في التعاليق على « متشابه القرآن » .

ومما يليق بالاحترام ومزيد الاهتمام قوة لهجة النبي في تبليغ انباء الغيوب القرآنية دون ادنى ترديد او ضعف الامر الذي يدل بصراحة على صدقه وقوة ايمانه بمبادئه حينما هو من عقلاء قومه المحتاطين من تطرق احتمال الكذب والخطأ في كلامه هذا اذا لم نقل انه اعقل الناس طراً على سبيل

التنازل في المجادلة والمجاملة . اذ لو تظاهر بالتنبؤ ولم تصدق نبوأته لكان قد اعطى بيد خصومه اقوى سلاح فاتك ضد مباديه وضد اصحابه وذويه .

هل الغيب بالنسبة الى الخالق او الى الخلائق

بما انكم اطلعتم على قسمة المغيبات القرآنية على ثماني حصص فلا يذهبن عن علمكم الدقيق ان هذا التقسيم الوسيم انما يجري بالنسبة الى علم البشر وما يغيب عنه او يحضر لديه . واما بالنسبة الى الخالق عز وجل فلا يغيب عن علمه أي شيء في الارض او في السماء ولا يخفى عليه اي امر من امور الماضي والحال والاستقبال .

ولا يشذ عن محيط علمه خبر خطير ولا موجود صغير او كبير « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » فكل شيء محسوس او غير محسوس حاضر لديه سبحانه وعلمه به حضوري لا حصولي ولا تدريجي .

كعلم نفسنا بنفسها ولا مثال للنفس لديها حصلا

هذا هو البرهان اللمي الجلي أو السبب الحقيقي

محيط بجميع شؤون الخلائق « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » فهو «عالم الغيب والشهادة فلا يظلع على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » فلا بد من الاستناد في انباء الغيب الى علام الغيوب .

فاذا عرفت حصص المغيبات الثمان ووجودها بأسرها في سور القرآن ، ثبت لديك اعجازه وتفوقه . كما وتثبت بذلك نبوة محمد(ص) السفير المبلغ له وصدقه لان الاخبار عن الغيب الذي لا ترشد الفنون اليه ولا تدل الحواس عليه ثم يصدقه الوجود ، ذلك امر فوق طوق البشر ومختص بخالقه او من شاء الهامه من خلائقه .

ومن المعلوم لدى العموم ان الانسان محصورة علومه من مدارکه المعلومه فالحس مرشد في الاول والآخر والعقل دليله في الباطن والظاهر والاستنتاج من الروية والرؤية معلمه في مدرسة الحياة . فاذا فاه البشر بعلم او خبر لا يستند فيها لا الى مدرك حسي ولا الى مدرك مدرسي فلابد وان يكون

وحيا والهاماً على الطريقة التي اوضحناها في ابحاث الوحي وغوامضه من كتاب « وادي السلام »(١)

ومتى تم اتصال محمد (ص) و كلامه الى ربه في وحيه والهامه تم كل شيء وتمت معه الحجة والمحجة في اعجاز القرآن وتفوقه على جميع الاديان في البيان والبرهان .

الجزء الخامس من المحاضرة السابعة

أ ـ الجذبات الروحية منشأ اعجاز القرآن

هذه دعوى لها الشواهد الوافرة بينما يستقربها القراء لأول نظرة فاذا القارىء الكريم رأى جملة : بسم الله الرحمن الرحيم وترجمتها (بنام خداوند بخشنده مهربان) ورأى جملة (ابدأ بسمات الرب اللطيف الرؤوف) يجد جذبة روحية فيما نسميه « البسملة » اعني الجملة الاولى دون الاخيرتين . بينما المعنى في الجميع واحد ويشبه هذا التمثيل تقريباً تمثيل معشوقك بصورته (الفوتوغرافية)او صورته المجسمة او اقتران المعشوق بمن يشابهه في الخلق والخلق فترى من معشوقك الحقيقي جذبة روحية لاتدانيها جذبات

(١) كتاب وادي السلام في عقائد الاسلام كتاب مخطوط للمؤلف

الامثلة الاخرى مع صدق التمثيل وكمال المشابهة (ففي الحمية معنى ليس في العنب) .

ب ـ سر الجذبات الروحية في آي القرآن

اوضحنا فيما سبق ان للقرآن ميزات قيمة قد لاتحصى ولا تحصر وليست باسرها من دلائل الاعجاز بل اعجاز القرآن ظاهر في بضعة وجوه ليس غير كالبلاغة والجامعية والانباء الغيبية والجذبات الروحيـة و هـذه النواحي وبالاخص جذبته الروحية نتيجة كونه كلام الرب وحده بما ان الكلام مرتبة متنازلة من روحية المتكلم وجـذبة واحدة من جذباته حتى ان الاصغاء الحقيقي الى قول قائل يجعل المصغي فانياً في روح قائله وروحيته. وكما ان ناظر وجهه الى المرآة قد يعتني في تعمقه الى حد لايحس بالمرآة ولا بالرائي اذا اشغلته الصورة المرئية عنها كذلك المسموع. وهذه الجذبات طبيعية وضرورية وتقدر بمقياس قوة الفاعل اى القائل وقدر استعداد القابل اى السامع وكلما كان قوله الذ كان انفذ ، وكلما كان السامع ذا توجه وتنبه اكثر كانت جذبة القول في روحياته اقوى على حد قول الشاعر

لو تكن هذه القلوب حديداً فلذيذ الألفاظ مغناطيس . .

وقال العارف الآخر :

الكل اشارة وانت معنى يامن هو للقلوب مغناطيس

و . و . فالرب اقوى تأثيرا من اى مغنـــاطيس للروح وكل جاذب قد استفـــاد جاذبيتـــه من ربه فالرب اولى بان يكون جذاباً وان يكون كلامه جاذباً للنفوس . فاذا كان الرب جذاب النفوس بالدرجة الاولى والعليا ، وكان الكلام مرتبة من مراتب وجود المتكلم وتنزل روحيته نحو السامعين فالمصغي مجذوب طبعاً له على قدر قوة جذب القائل وقدر استعداد القابل ونتيجة هذه المقدمة الضرورية ضرورة الجذبة الروحية في كلام الله المجيد على قدر استعداد السامعين . ولذلك كان النبي (ص) مجذوباً لهذا الكلام اكثر من ساير الانام حتى كان يغشاه من نزول الوحي عليه حالات غريبة وانسلاخ من عالمه الاعتيادي ودهشة الذهول وما هو شبيه بالموت او الاغماء من شدة انجذابه وجذب القائل للقابل . . ثم كذلك سيد الاولياء علي (ع) والائمة والصحابه الصالحون حسب درجاتهم . بل لسيد الرسل وامثاله جذبتان جذبة الكلام وجذبة المتكلم وهذه

اقوى اذ هي المنشأ والمثار الاولى وجذبة القول رشيح من آثار جذبة القائل . .

هذه نواة اعجاز القرآن عندي فوق سائر مزاياه العليا حسبما اختبرنا واخترنا من آثار كونه كلام الرب (سبحانه) ولذلك ترى القرآن يتفنن في قصة واحدة كقصة موسى وشعيانه فيقصها اطواراً واشكالا وكل طور منها واجد مزية الجذب والعبقرية كي لايتوهم الناس في ان الاعجاز فيها وليد السبك والاسلوب او هو وليد اللفظ والتركيب .

وبالجملة للجملة الكلامية جذبتان : جذبة المتكلم في حد ذاته وجذبة الكلام في حدذاته ثم قد تجتمعان وقد تفترقان وهما في مثل القرآن المجيد مجموعتان جاذبتان على اقصى الحد ولكن اذا صادفتا قلباً قابلا كقلوب الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل . بخلاف ما لو صادفتا قلوباً قاسية وقرائح مقرونة بالجهالة والجمود او بسوء الخلق ، كمرآة صدية وغير صافية فعندئذ لايظهر اثر للجذب كمن قرب الخشب من المغناطيس (فهي قد قست كالحجارة أو اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما

يهبط من خشية الله) فترى الآيات التي تليت على امثال ابي ذر زادتهم ايماناً وقد تليت على امثال ابي جهل فزادتهم طغياناً ورجزاً على رجز كالنور يسطع على ارض بيضاء فينير جوانبها وعلى ارض سوداء فيذهب كأن لم يكن ، او الغيث ينزل على تربة طيبة فتنبت الرياحين والازهار وينزل على السبخة فيذهب كأن لم يكن . كذلك الوحي الالهي واثره في النفوس .

والخلاصة : ان النفوس الزاكية اذا اتصلت بآي الذكر الحكيم وجدت جذبة دونها جذب المغناطيس ولذة دونها كل لذة ذات بهجة للنفوس، ذلك الأمر الذي شعر به النجاشي مليك الحبوش وشعر بمثله واكثر منه زعماء الأدب من العرب فأسلموا من اجلها واحس به المؤمنون حتى اليوم واحس بشيء منه ادباء الفرس ونصارى العرب وعظماء الافرنج وشعر بشيء منه مشركة العرب من قبل وحتى وليدهم الذي قال (ليس هذا من كلام الأنس ولا من كلام الجن وان في كلامه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وهو يعلو وما يعلى » كما شرحنا هذه السبيكة منه في غرابة

اسلوب القرآن وحتى الجأوه اخيراً ان يقول بأنه سحر ساحر لا نظم شاعر الا ترون انه يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد والولد » لما وجده كلاماً جذاباً للنفوس فوق النظم ، فوق النثر . . فوق العلم العادي . فوق الاقتدار الاعتيادي .

وبما ان الجذبة الروحية هي من اركان الاعجاز القرآني فهي موجودة في كل سورة منه وفي جملة الآيات والسور جميعاً ومجموعاً فيصح التحدي بسورة من مثله وبعشر سور وبالمجموع . كما يصح القول بأن القرآن كله معجزة واحدة ومجموعة المعجزات وهن باقيات وصالحات للتحدي في كل عصر ومصر .

جـ - ماهو كهرباء القلوب عامة

ملحق دفاعي عن الاعجاز القرآني

قد يبث اعداء القرآن بين المؤمنين به شكوكا بقصد ايقاع التزلزل في بناية العقيدة في القرآن وروعته يهمسون في آذان البعض . ان هذا القرآن موضع اعجاب القارىء والسامع من صيقلة الزمان لآياته في المسامع وشدة الالفة

بهذا السبك والروي او من دهشة الاسماع والقلوب . بالقصص العجيبة والمبالغات الغريبة والحروف المقطعة في فواتح السور . او بأن الكتاب عربي النظم والاسلوب عربي الكلمات والحروف فلا يستبين الاعجاب منه والاعجاز فيه إلا لدى العرب وعرفاء ابناء الضاد فلا يكون حجة لغير العرب ولا لغير المسلمين ولا لغير المألوفين لحلاوة تلاوته .

والجواب عن هذه الشبهات المتشعبة بدافع الشغب الفكري وهو امر واحد بسيط نسميه بالجذبة الروحية او الروعة الالهية وشرح هذا اللغز او الرمز ان المتوجه نحو آي الذكر الحكيم من شتى الأمم وطوائف العرب والعجم يجد بلا ريب في استماع القرآن لذة وحلاوة. وروعة وطلاوة ، كانت معه وفيه من أيام صاحب الدعوة الى العصور الوسطى والى يومنا هذا ، والى ماشاء الله من الدهر زاهية نامية نحو اربعة عشر قرناً فعندما بعث الرسول الامين بكتابه الكريم وتبلبلت السنة مخالفيه فيه استفتوا كبراء بلغائهم وباقعة فصحائهم وشعرائهم فقال الوليد بعد استمهاله ثلاثه ايام (انني فكرت فيه ملياً فلم اجده شعراً ولا نثراً

الا ان يكون سحراً . . الى آخره .

وغرض الوليد من كلامه نفي التأثير النثري . والجذبة الشعرية عنه وانما التأثير الفائق الرائق الذي شعر الوليد به بصورة فوق العادة فأعجز الوليد عن تفسيره الا بأن يكون سحراً نظراً الى سرعة تأثير السحر وتفوقه على كل مؤثر إعتيادي وهكذا أثر القرآن أثره البليغ في جذب ملك الحبشة وامرائها واثر في جذب قريش وصناديدها واثر في ملوك العرب وشيوخ القبائل وملايين الألوف في الامم من طوائف العرب والعجم وقد قصصنا في المحاضرة الرابعة عليكم بعض شهادات عظماء الافرنج وادباء العرب المسيحيين من هذا الجيل وما قبله يعترفون بعظيم تأثير القرآن في النفوس وتكهرب العقول من جذباته الروحية واصبح الأثير في اجواء كرتنا الارضية يتكيف اليوم بانغام موسيقية لطيفة في تجويد القرآن من مشارق الارض ومغاربها بآلآت الاذاعة والراديو صباحاً ومساء ونسمع تهافت الناس على الاذاعات حتى في المقـــاهي والملاهي لاستماع القرآن العظيم التذاذاً واجتذاباً لهم من آي الذكر الحكيم وفيهم العربي الاسرائيلي

والعربي المسيحي والافرنج المستشرقون فضلا عن تهافت المسلمين تلاوة واستماعا . اذاً فليست الجذبات الروحية في آي القرآن وليدة صيقلة الزمان حينما انجذب اليها الوليد وغير الوليد في بداءة امره وطليعة عصره وليست الجذبات القرآنية موقوفة على ابناء الضاد والعرب ولا بالمؤمنين به والمسلمين حينما نجد آلاف الطوائف والفرق في تهافت مستمر على السماع والاستماع والانتفاع ويقضي الانصاف على من تجنب الجدل والاعتساف ان يذعن بأن الآية القرآنية جذابة لمن تأمل فيها او ألقى السمع وهو شهيد كما سمعت في الجهة الثانية من هذه المحاضرة في تشريح الآيتين على المحك وستأتي مقابلة آي القرآن بما لفقه الأعداء الأدعياء امثال مسيلمة والباب والبهاء وهذا الامر الذوقي اكبر برهان حسي يحتم عليك بعد تصديق التجارب المتوالية ان تعرف وتعترف بانتهاء هذا الكلام الجلي وجذبه القوي الى العالم الرباني وتأثيره الروحي فوق المستوى البشري . وبطبيعة الحال لا يتأتى مثل هذا في اى كلام آخر مسند الى البشر ولنا على صحة هذا الرأى الوف الدلائل والشواهد لا يسعنا ايرادها في هذا المختصر .

الجامعية واعجاز القرآن

كثير الذاهبون الى توجيه اعجاز الفرقان الحكيم من اجل انه جامع لكل كمال مرغوب .. تميل اليه القلوب . فهو وحي جامع لمزايا البلاغة والفصاحة ومحاسن الألفاظ والمعاني ومرونة البيان وتفننه في نواحي الانشاء وحسن الاداء والشؤون الروحية والخوالج النفسيه ولطائف الاسجاع وجواذب الطباع من قصص وامثال وحكم واحكام وآداب ومواعظ . كما وصفه سيد البلغاء امير المؤمنين علي (ع) في سبائكه المروية عن نهج البلاغة وأوردنا انموذجاً منها فيما سبق . فتجد من ذلك الفقهاء يفزعون اليه والخطباء كالادباء يعتمدون عليه وهو المرجع للقاضي والمحامي والمرشد والمربي. والمتكلم والفلسفي . .

ومن هذه المزايا والميزات اصبح القرآن كهرباء القلوب . وجذاب الارواح والنفوس .. وكعبة القصاد والرواد والوراد وحتى بلغ في جامعيته لأشتات الميول وأصناف العلوم انهم استخرجوا

منه البحور الشعرية وانواع الالحان والنغم واسرار الطب والطبيعة والمسائل الرياضية والفلكية والأنباء الغيبية وتواريخ الحوادث وأصول الحكمة وغير ذلك مما اشرنا اليه أو نشير ومما غاب عنه الفكر ذهولا وهو حسير .

وجميع هذه الكلمات مجموعة فيما بلغه ذلك العربي الأمي. ربيب البادية . . وخريج مدرسة الأخبية . هذا هو الامر المعجز قطعاً والمختار طبعاً .

تمام المحاضرة السابعة

الصرفة من النظريات السبعة

افردنا القول بالصرفة عن النظريات الست من وجوه اعجاز القرآن لتباعد بين هذي وتلك ولضعف الحجة والمحجة معاً ولولا نسبة هذا الرأي الى علامتنا الشريف المرتضى علي بن احمد المتوفي سنة ٤٣٦هـ لما صرفنا الوقت الثمين في نقله واجتثاث اصله غير ان الشريف طاب ثراه معروف بقوة الجدل والتحول في حوار المناظرين الى هنا وهناك فلا نعلم انه هل بقي ثابتاً على هذه النظرية كعقيدة راسخة او تحول ؟

نعم جنح اناس الى القول للاعجـــاز لسبب منعة الهية ولصرف الصرفة وارادوا من الصرفة ان الله سبحانه كما قد يلهم العباد احياناً ، كذلك يصرف الهمم والافكار عن ان يباري القرآن احد . مذهب اعوج واعرج ، أو كما قيل حرفة عاجز وحجة كسول ، لا يليق اسناده الى علمائنا الفحول لأن الله عز شأنه فياض عدل ذو رأفة وفضل فهو أرفع شأناً من ان يأمر الانس والجن بأن يباروا القرآن ويرضى منهم بمباراة بعضه لو تعذر عليهم كله ثم يعترض سبيلهم ويصرف منهم القوة والهمة ويمنعهم من أن يأتوا بما أراد منهم .

الظاهر من ظواهر الآيات ان القرآن في ذاته متعال بميزانه حائز ارقى المميزات وابلغ المعجزات وينبغي ان يكون كذلك ان اريد مدحه وفضله .

اما لو حصرنا وجه الاعجاز في نقطة الصرفة فيتم حتى مع كونه كلاماً مبذولا مرذولا للغاية . ففي الوجوه الوجيهة السالفة غنية وكفاية والله ولي الهداية .

معرض المعارضات القرآنية

لقد توالت من نبي الرحمة ومنقذ الامة محمد (ص) وقرآنه الصرخة بعد الصرخة والنداء بعد النداء في أندية الحجاز وأم قراها في طلب المعارضة والمبارزة والمباراة بوحي المصطفى وقرآنه ثم تنازل وتساهل طالباً اتيان سورة من مثله ولم يستجيبوا نداءه وصرخته وهم اهل النقد والبصيرة في الشعر والنثر واهل الفصاحة والبلاغة في قريش .

ولقد بلغ عجز اعداء القرآن في عصره الى حد اخذوا يتحججون لديه بحجج واهية وما ادراك ماهية من قبيل قولهم (قالوا لو تأتينا بقرآن غير هذا أو تبدله قل ليس لي ان أبدله من تلقاء نفسي) لعم صار الوحي يتبدل في الفاظه وصيغه . . في احكامه وقصصه ، وهم مع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثله .

نماذج منشآت المتنبين

وقد احتذى اثر النبي المصطفى (ص) بعض الدجالين

في عصره وبعده في ادعاء النبوة وتلفيق الاسجاع والقوافي في الكلام يوهمون البسطاء أن سبائكهم المهلهلة وحي السماء مثل طليحة الأسدي وأسود العنسي وسجاح التميمية ومسيلمة دجال اليمامة.

١ - نموذج من منشآت مسيلمة

فمن «وحي» مسيلمة الذي احتذى فيه حذو القرآن قوله: «الفيل ماالفيل وما ادراك ما الفيل له خرطوم طويل وذنب وثيل وان ذلك من خلق ربنا لقليل» وليت شعري ماهو المغزى من هذه الجمل الجوفاء..

ومن «سوره»: «والليل الأسحم. والدب الأدلم. والجذع الأزلم. ما انتهكت أسيد من محرم».

ومن «سوره»: «والليل الدامس. والذئب الهامس. ماقطعت أسيد من رطب ولا يابس».

ومن «سوره»: «والشاة السوداء واللبن الأبيض، انه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لاتمجعون».

من «سوره» على غرار والذاريات ذروا: «والمبذرات زرعا، والحاصدات حصداً والداريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً».

ومن «سوره» على ضوء سورة الشمس ومعارضتها بالمثل: «والشمس وضحاها، في ضوئها ومجلاها، والليل اذا عداها، يطلبها ليغشاها، ادركها حتى اتاها، وأطفأ نورها فمحاها».

والبلغاء يسخرون بهذه الجمل الجوفاء الفارغة من كل حكمة أو علم ومن كل موعظة أو حكم.

٢ - نموذج من كلام سجاح المتنبية

وممن اقتفوا أثر النبي في تنظيم الكلام على اسلوب فرقانه في الاسجاع والقوافي سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله (ص) فمن قولها المزعوم انه الوحي: (أعدوا الركاب واستعدوا النهاب ثم اغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب). ولما توجهت لحرب مسيلمة

دجال اليمامة قالت : (عليكم باليمامة ، ذوفوا ذفيف الحمامة ، فانها غزوة صرامة ، لايلحقكم بعدها ملامة) . ولما احتال عليها مسيلمة واختلا بها قال لها (هل لك ان أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب ، فرضيت به زوجاً فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرفت عنه فقال لها قومها ماصداقك ؟ فعادت الى مسيلمة تطالبه بفرض صداق فأمر شبث بن ربعي ان يؤذن بين الأقوام ان صداقها وضع الصلاتين ـ الفجر والعشاء ـ مما جاء به محمد (ص) . ولما قتل مسيلمة اسلمت هذه وانتقلت الى البصرة وماتت بها سنة ٥٥ هـ ٦٧٥ م وصلى عليها سمرة بن جندب . « عن دائرة معارف القرن العشرين »

٣ ـ نموذج من كلام اسود العنسي(١)

ومن المحتذين حذو نبينا الأمين في تسجيع الكلام

---

(١) واسمه عبهلة من مذحج قام يدعي النبوة أيام حجة الوداع ولم تدم امارته أربعة أشهر أستولى خلالها على البحرين ونجران وبعض بلاد اليمن وشواطىء الخليج كالاحساء وغيرها وقتله فيروز في اليمن بمساعدة زوجته آزاد ودفعا شره عن المسلمين وأتت بشائر قتله الى مدينة الرسول ايام وفاته (ص) وكان اول من فتح باب الردة بالعرب على رسول الله (عن دائرة معارف البستاني)

تمهيداً لنبوته اسود العنسي ، ومن سوره التي يباري بها «سورة» الاعلى قال : (سبح اسم ربك الاعلى الذي يسر على الحبلى ، فاخرج منها نسمة تسعى ، من بين اظلاع وحشى ، فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى) .

وانت ترى انها كأشباهها صفر من الحكمة العالية إلا الجملة الاولى (سبح اسم ربك الاعلى) .

ويلوح من تقول المؤرخين من المسلمين وغير المسلمين وسخريتهم بهذه الجمل الجوفاء ان اصحابها كانوا بمكان من الانحطاط الفكري والاخلاقي . أما أولو الاقلام المؤلقة وذوي العبائر المحكمة فكأنهم لم ينزلوا الى ميدان المعارضة لعلمهم بصعوبة المعارضة وانها تبوء بالفشل لامحالة وحفظوا كرامتهم من التسرع الى حركات صبيانية .

خلاصة الحركات من الاوائل والاواخر

خلاصة القول ان هذا الفرقان الجامع والبرهان اللامع دعى الامم من عرب وعجم الى ميدان المعارضة والمبارزة

وان يأتوا بمثله اذا هم يزعمون كونه قول بشر .

فما عارضه احد من ذكر او انثى الا افتضح وفشل فى مسعاه وممن عارضه فى بدء امره بمكة هند زوجة عمه ابي لهب بعد تبليغ سورة (تبت يدا ابي لهب وتب .. الخ .) فولولت ام جميل وارعدت وازبدت ثم انشأت او انشدت (مذمماً ابينا ودينه قلينا) الى قولها (ماصمنا ولا صلينا) غير انها اتت بشيء ليس بشيء وفاهت بالفاهي التافه الذي تعافه الاذواق ، ولم تكن متنبئة غير ان التاريخ سجل من المعارضين المتنبئين ستة ثلاثة من الاوائل وثلاثة من الاواخر . اما الاوائل فقد ذكرناهم ذكرهم وانثاهم والنماذج مما اتوا به . بقي الاواخر الذين خلقتهم الاغراض الاستعمارية فى سنوات متقاربة من قرن افتتاح المشورات فى حل المسألة الشرقية على المائدة المستديرة وبث الدسائس ومثارات الثورات فى الممالك الاسلامية وهؤلاء الثلاثة هم الباب في ايران والبهاء في تركيا والقادياني في الهند وربما بعثوا من حيث لايشعرون وخدموا غايات اعدائهم من حيث لا يعلمون .

نموذج من كلام الباب علي محمد الشيرازي(١)

لقد اتى الباب بما ادهش الالباب بين المهاذير الآخرين حتى قيل انه اخذ الرقم القياسي في السخافة واعجز حتى من به خبل. فمن كلامه « قل كل ليقولون لااله الاالذي آمنت به كل الخلاقين قل كل يقولون لااله الا الذي آمنت به كل السواقين . قل كل يقولون لااله الا الذي آمنت به كل اللهامون » يريد باللهامين (بالهاء) اللحامين (وبالحاء) وهكذا يعدد المهن اكثر من عشر صحائف وفيها من غلط الانشاء والاملاء والصرف والنحو مالا يحصر(٢)

---

(١) ولد هذا المتنبيء في شيراز وتحول منها الى كربلا في التاسعة عشر من عمره يدرس هناك في حوزة زعم الكشفية السيد كاظم بن قاسم الرشتي المتوفي سنة ١٢٦٢ . ثم قام بالدعوة الى نفسه زاعما انه الباب الى المهدي المنتظر (ع) وسفيراً من ناحيته المقدسة ولذلك اشتهر بالباب والباب في اصطلاح المحدثين هو الوسيط بين الامام والرعية . ثم ترقى في دعوته فزعم انه المهدي الموعود نفسه وعارضته الحكومة الايرانية وناهاؤها حرباً وادباً فتحولت دعوته الى التنبيء والتأله في كتبه التي يزعم انها موحاة اليه فاعدمه شنقاً ناصر الدين قاجار شاه ايران في ذلك حين

(٢) وقد شاع في اندية الخبراء ان النسخ الاولى من كتب الباب والبهاء كالبيان والايقان والاقدس وغيرها كانت مشحونة =

« ولعمري اول من سجد لي محمد ثم علي ثم الذين هم شهداء من بعده ثم ابواب الهدى اولئك الذين سبقوا الى امر ربهم واولئك هم الفائزون . وان اول ذلك الامر اول يوم القيامة كل على الله يعرضون . ان الذين عرضوا علي وهم كانوا بالله وآياته مؤمنين . فاولئك اصحاب الرضوان قد جزيناهم في الكتاب باحسن مما اكتسبت ايديهم وكذلك نجزي المخلصين . وان الذين هم عرضوا علي وهم بي وآياتي لا يؤمنون . حسبهم ما اكتسبت ايديهم وماهم يشهدون على انفسهم ذلك ماقد شهد الله عليهم وجعلناهم واعمالهم هباء ذلك ماقد نزلنا من قبل في القرآن لعلكم توقنون . كل شيء هالك الا وجهه كذلك يظهر الله صدق مانزل لعلكم تتذكرون . وانا قد نزلنا من قبل في القرآن كلة فيها كل امر لعلكم بها تتقون فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون وانا قد نزلنا من قبل انه لااله الا انا اياى فاتقون . لتوقنن

= باغلاط في الانشاء والاملاء ومن حيث اللغة والصرف والنحو وحتى الطبعات الاولى منها لكنها الادباء الذين اتصلوا بهم صقلوا عبائر كتبهم واصلحوا مافسد فيها من تلك النواحي وهي مع ذلك معروضة للنقد والرد .

ان لم يكن اولا قبلي ولا آخرا بعـــدي ولا ظاهراً غيري ولا باطناً دوني ولا آية الا من عندي كذلك يمحص الله الناس كلهم اجمعون (١) . ولعمري ان امر الله في حقي اعجب من امر محمد رسول الله من قبل لو انتم فيه تتفكرون . قل انه ربي في العرب ثم من بعد اربعين سنة قد نزل الله عليه الآيات وجعله رسوله الى العالمين . قل اني ربيت في الاعجمين وقد نزل الله علي من بعد ماقد قد قضى من عمري خمسة بعد عشر بن سنة آيات التي كل عنها يعجزون (٢) وقد قضى يوم

---

(١) هكذا بالنسخة الاصلية والنسخ القديمة والمطبوعة «بالواو» خلافاً لقواعد النحو والعربية وكثير مثل هذه الاغلاط في منشاته ولما عابه الادباء اعتذر بان اللغة العربية كانت مقيدة بقواعد الصرف والنحو وانا اعطيتهـــا الحرية التامة وتمسك بهذا العذر خلفاؤه وحلفاؤه .

(٢) ينس في هذه الجملة بان البشر كلهم يعجزون عن الاتيان بآية من مثل آياته وله كلام آخر في مواضيع اخر يصرح بان الانس والجن اذا اجتمعوا لايأتون بحرف من حروف « البيـان » الذي هو اسم لمجموعة « وحيه » الكبرى وهو في هذه الجملة وغيرها من الجمل يعترف بان قرآن محمـــد وحي انزله الله عليه فهو محجوج بهـــذه التصريحات .

الدين وانا بما قد وعدنا من قبل فى القرآن انا كنا نستنسخ ما كنتم به تعملون . نريد ان نوفي به فلتقرئن آية الاولى ٣٦٠ بالليل والنهار فانها خير عن كل الاعمال انتم بها توقنون. الخ » ومما قال « . . . فهو حروف المقطعات فى قرآن المجيد الذي لا كلف الله عباده بتأويله ولا تحتاج له كتاب الذي انزله الله لتبين كل شيء ولا رطب ولا يابس الا فيه الله سبحانه تعالى وصف هذا الكتاب بالبيان ولاظهار كل مقاصد ومطالب بكلام بليغ الخ ... » .

تعليق على الباب و« وحيه ! »

لم يلق في هذه العصور كتاب او خطاب « من الردود والاعتراض مالقيه علي محمد الباب وكلماته المزعومة « وحياً » عليه . ومن ظريف ماسمعناه في مقام المباراة له والمعارضة سبيكة بعض الايرانيين حاسباً انه قد أتى بافصح من كلام الباب وتلميذه البهاء وهذا نصها :

كيف يقول الباب لربات الحجال والحجاب « انتن انكن قد خلقن لأنفسكن ولأولادكن » ثم لم يقل ولبعولكتن ولايساوي بينهن انه كان من المعتوهين .

وكيف يحرم حبس الناس حتى في الافلاس وفيهم الجناة المستحقون للعذاب المهين ولم يميز بين المفلسين والمستفلسين - ان الذين يغسلون ثيابهم ولا يجدون ما يلبسون اولئك هم المفلسون ، وقال الذين افلسوا للذين استفلسوا لولا ان تعطونا الرهون بدل الديون فسوف نعذبكم عذاباً اليما . ولله الحجة من هيبة الحاكم وهيمنة المحاكم وقد جعل لنا ولاية وسلطاناً . وتخرج أمام المحاكم ميثاقاً غليظاً فما بالكم كيف تأكلون اموال الناس ظلماً وعدواناً وتجادلونهم بالسيئة بدل الحسنة وتقابلونهم زوراً وبهتاناً . . الخ

نموذج من كلام البهاء (١)

نقلا عن صفحات كتابه المسمى (الاقدس)

المطبوع ببغداد سنة ١٣٤٩ الموافق سنة ١٩٣١ م

في مطبعة الآداب

« من الناس من غرته العلوم وبها منع عن اسم القيوم

---

(١) البهاء رجل ايراني مازندراني اسمه ميرزا حسين علي ولقبه بهاء الدين فكان شيخه علي محمد يخفف هذا اللقب حينما ينادي (بهاء) ثم اتباعه صيروه (بهاء الله) وصار ولده عباس افندي يلقب نفسه =

واذا سمع صوت النمال من خلفه يرى نفسه اكبر من النمرود قل اين هو يا ايها المردود تالله انه لفي اسفل الجحيم » ص ١٤

« لا تحلقوا رؤوسكم قد زينها الله بالشعر وفي ذلك لآيات لمن ينظر الى مقتضيات الطبيعة من لدن مالك البرية انه لهو العزيز الحكيم » ص ١٥ .

حكم الله لكل زان وزانية دية مسلمة الى بيت العدل وهي تسعة مثاقيل من الذهب . وان عاد مرة اخرى عودوا بضعف الجزاء هذا ما حكم به مالك الاسماء في الأولى ، وفي الأخرى قدر لها عذاب مهين » ص ١٧ .

وما قال في اباحة الخمور ص ١٧ .

« اياكم ان تمنعكم سبحات الجلال عن زلال هذا السلسال خذوا اقداح الفلاح في هذا الصباح بأسم فالق

(عبد البهاء) ويرمز في توقيعه (ع . ع) يعني عباس عبدالبهاء وبعد ان قتل ناصر الدين شاه الباب واصحابه نجى ميرزا حسن علي بشفاعة سرية فتبدل شنقه الى سوقه للاراضي العثمانية فأشخصوه الى عكا وهي من المدن الفلسطينية الساحلية وبقي هناك حتى وفاته وتواريخ هؤلاء وآثارهم مشروحة في كتب عربية مثل (الحراب) و(مفتاح باب الابواب) وفي كتب فارسية مثل (كشف الحيل) و (فلسفة نيكو)

الاصباح ثم اشربوا بذكره العزيز البديع »

ولا فلسفة فى كلماتها سوى الأسجاع .

« من احرق بيتاً متعمداً فاحرقوه ومن قتل نفساً عامداً فاقتلوه، خذوا سنن الله بايادي القدرة والاقتدار ثم اتركوا سنن الجاهلين وان تحكموا لها حبساً أبدياً لا بأس عليكم فى الكتاب انه لهو الحاكم على مايريد » ص ١٩ .

وقد ناقض البهاء هنا استاذه الباب الذي قال فى بيانه من يحبس انساناً غيره ولو ليلة حرمت عليه زوجته مؤبداً . . الى آخر مجازاته .

« قد كتب الله عليكم النكاح اياكم ان تجاوزوا عن الاثنين والذي اقتنع بواحدة من الاماء راحة نفسه ونفسها ومن اتخذ بكراً لخدمته لا بأس عليه » ص ١٩ .

« لا تحقق الصهار إلا بالامهار قدقدر للعدني تسعةعشر مثقالا من الذهب الابريز وللقروي من الفضة ومن اراد الزيادة حرم عليه ان يتجاوز عن ٩٥ مثقالا كذلك كان الامر بالعز مسطوراً » ص ١٩ .

يدعي البهاء المساواة التامة في البشر وهنا يفرق في مهور

الأزواج بين المدني والقروي .

قال في نسخ الصلوات :

« قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وعفونا عن عدة أخرى أمراً في كتاب الله انه لهو الامر المقتدر المختار » . ص٤

« قد نزلت في صلاة الميت ستة تكبيرات من الله منزل الآيات والذي عنده علم القراءة له ان يقرأ مانزل قبلها والا عفى الله عنه أنه لهو العزيز الغفار » ص٥

«لا يبطل الشعر صلاتكم ولا مانع عن الروح مثل العظام وغيرها » . ص٥

« ان البسوا السمور كما تلبسون الخز والسنجاب وما دونها انه ما نهى في الفرقان ولكن اشتبه على العلماء انه لهو العزيز العلام » . ص ٥

« ومن لم يجد الماء يذكر خمس مرات بسم الله الاطهر الاطهر ثم يشرع في العمل هذا ماحكم به مولى العالمين » ص٦

« كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة الا في صلاة الميت انه لهو الامر الحكيم » . ص ٦

نموذج من « وحي » القادياني (١)

المسمى بـ « حمامة البشرى »

ـ فالهمني ربي مبشراً بفضل من عنده وقال أنك من المنصورين . وقال يا أحمد بارك الله فيك مارميت اذ رميت ولكن الله رمى . لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين وقال قل ان افتريته فعلي اجرامي هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله لامبدل لكلمات الله وانا كفيناك المستهزئين وقال انت على بينة من ربك رحمة من عنده وما انت بفضله من مجانين. ويخوفونك من دونه انك بأعيننا سميتك المتوكل يحمدك الله من عرشه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ويمكرون

---

(١) القادياني : اسم غلام احمد ومعناه بالفارسية « عبد احمد » أصله من بلخ من قرية « مزار شريف » تحول آباؤه قبل قرون الى شمال الهند حيث بها « قاديان » القرية التي يمتد خط الطول منها غرباً الى بغداد وقد درس العربية والعلوم الدينية على العلماء ثم ادعى انه المسيح المعهود والمهدي الموعود في وقت واحد كما يظهر من هذه الجمل المنقولة فانشأ رسالاته باللغة العربية الفصحى داعيةً الى نفسه ومدعياً انها موحاة اليه . وامره واضح عند العرفاء

ويمكر الله والله خير الماكرين .فادخل الله سبحانه في لفظ اليهود معشر علماء الاسلام الذين تشابه الامر عليهم كاليهود وتشابهت القلوب والعادات والجذبات والكلمات من نوع المكائد والبهتانات والافتراءآت وان تلك العلماء قد اثبتوا هذا التشابه على النظارة بأقوالهم واعمالهم وانصرافهم واعتسافهم وفرارهم من ديانة الاسلام ووصية خير الانام صلى الله عليه وسلم وكونهم من المسرفين العادين وكنت اظن بعد هذه التسمية ان المسيح الموعود خارج وما كنت اظن انه انا حتى ظهر السر المخفي الذي اخفاه الله على كثير من عباده ابتلاءاً من عنده وسماني ربي عيسى بن مريم في إلهام من عنده وقال ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة انا جعلناك عيسى بن مريم وانت مني بمنزلة لايعلمها الخلق وانت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي وانك اليوم لدينا مكين امين ... الخ .

الى من التحاكم في تفوق القرآن على معارضيه

يحكم التاريخ بصراحة وصراحة ان البلغاء تركزوا في عصر

النبي ومصره فكانت ام القرى وما حولها كعبة طلاب الكمال ومحط رحال الرجال وقد تضافرت وتظاهرت كتب المؤرخين والمحدثين وآراء المتكلمين على ان موسى الكليم (ع) بعث الى بني اسرائيل في عصر ومصر كثر فيها السحرة والمهرة من المشعوذين فكان هذا الكمال المزعوم في امة موسى اقوى مالديهم في تسخير النفوس ولذلك جاء موسى مرسلا من ربه اليهم بمعجزات مناسبة لما لديهم ثم فاقت صناعتهم واسقطت بضاعتهم حيث القى عصاه فاذا هي ثعبان مبين تأكل مايأفكون واخرج يده فاذا هي بيضاء تسر الناظرين .

قالوا : وكانت الصناعة الغالبة في عهد عيسى فن الطب وعلاج المرضى بالحكمة وكان هذا الكمال الباهر اقوى سلاح فيهم لجذب القلوب وتسخير النفوس فجاءت معجزات عيسى (ع) اشياء من هذا القبيل لكنها تفوقت على اعمال معارضيه وبلغت الذروة العليا من الاعجاب والاعجاز فأبرأ الأكمه والابرص واحيى الموتى و . . . و . . .

قالو: كذلك الزمان الذي بعث فيه محمد من العرب كانت

الصنعة الراجحة النـاجة هي البـلاغة والادب والتفوق في الشعر والنثر والخطب وماهو من هذا القبيل فبعث الله المصطفى بمعجزته الادبية « القرآنية » وهي من جنس مالديهم فسخرت النفوس وملكت القلوب وفاقت صناعات ذلك الزمان والمكان باسرها ودانت له الادباء والبلغاء في صناعة الانشاء على القاعدة الجارية التي اختارها الله بحكمته في خليقته .

وقد مر على الادب العربي او البلاغة الامية اربعة عشر قرناً والناس يستشهدون باقوال رجال ذلك العصر والرعيل الاول ويحتجون امام خصومهم بالمروي عنهم والمأثور من شعرهم ونثرهم .

اذن من هم البارزون من ائمة اللسان والجهبذ الاساتذة في صناعة البيان حتى نتحاكم اليهم ونختصم لديهم ؟

فاذا عجز اولئك الفحول عن مباراة الرسول فغيرهم اولى بالعجز وصح آنئذ ان الذي اعجزهم معجز حقاً واذا اعترف اولئك الخبرة من اهل الخبرة بمزايا القرآن البارزة وعبقريته الفذة ومنزلته الممتـازة تم له الاعجاز والتفوق على اقرانه بتفوق قرآنه سواء ادركنا نحن اليوم سر هذا

التفوق وسبب هذا الاعجاز اولم ندرك ، فان شهادة اهل الخبرة مقبولة لاترد وقضاؤهم حكم حاسم . ولما اختلف سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية قال هذا للرشيد : « العرب ببابك فأسألهم » فدل على ان الترافع الى عرف اهل الخبرة وابناء اللسان امر طبيعي وغريزي في الانسان، وبعد ان نعود القهقرى الى تاريخ صدرنا الاول نجده قد سجل اعتراف اولئك الرجال والخبراء بتفوق القرآن وامتيازه عن كلام المخلوقين ، اولئك كالاعشى ولبيد وحسان والوليد واكابر لايحصون فلامراء في امره . وان سرت بنا الى العهد العباسي وطبقة الشعراء المولدين وجدت ركوعاً وخنوعاً لامزيد عليها منهم للقرآن سواء من اوليائه او من اعدائه امثال ابي شاكر الديصاني وابن المقفع وابن ابي العوجاء وهكذا يتسلسل عجز الادباء وخضوع البلغاء جيلا بعد جيل وقبيلا اثر قبيل حتى عصرنا الحاضر ومشاهير ذوى الانشاء من كتاب وخطباء زينوا جيد هذا العصر بمنثورهم ومنظومهم سواء من ابناء الاسلام او سائر مذاهب الانام .

في افتتاح سور بحروف مقطعة

تفتحون المصحف الشريف فتجدون في اول صفحة يسرى حروف (الم) بعد البسملة وهكذا في أوائل سور بعدها وفي بعضها (ص) او (المص) او (كهيعص) او (ق) او (حمعسق) او .. او .. فتقفون حيارى حيال هذه الحروف التي لا تفقهون معانيها وربما سألتم العلماء او راجعتم كتب التفاسير لحل هذا المرموز وتفسير هذه الرموز فتوافيكم اجوبة غير مقنعة تزيد الطين بلة وتزيد على العلة الف علة لأن الذين في قلوبهم مرض ،مرض الجهل والغرض استغلوا هذه الرموز لدعاية مذاهبهم وتفسيرها حسب اهوائهم ومشاربهم وتمكن اشباه الباب والبهاء بأمثال هذه الحروف لنهب اهواء البهائم وجلب اغنام الله وتتضح لك هذه الغامضة من الاطلاع على تفسير الشيخ الجنابذي في مستهل سورة البقرة الأمر الذي دفعني الى الاهتمام بكشف النقاب لانقاذ ذوي الألباب. نعم عندما يتساءل المستفهمون عن

وجه افتتاح سور لهذه الحروف المفردة يتقدم اولا جواب الاكثرين بانها رموز آلهية واسرار غيبية لايعلمها الا هو وهذا الوجه المعروف بين طوائف المسلمين ، يضعهن في مقدمة الايات المتشابهات وهو الذي دفع ائمة المذاهب الى التفلسف فيهن بينما لايجد الباحث عنها شيئاً يروي غلته ويشفي علته ثم يأتيهم جواب جماعة ثانية امثال السر السيد احمد الهندي في تحريره والاستاذ المفتي في تفسيره وبعض المحدثين وكثيرين من قبلهم ومن بعدهم ان هذه الحروف اسماء السور فتكون (الم) مبتدأ و (ذلك الكتاب) خبر ، كمن يقول زيد ذلك الجالس وجوابنا عنه ان اكثر السور ليست مستهلة بهذه الحروف والتي استهلت بها قليل من كثير وكيف يكون علماً شخصياً لسورة بينما هو مشترك فالمستهل بـ (الم) عدة والمستهل بـ (الر) عدة و بـ (حم) عدة فيفوت الغرض من التسمية اذن فالرأي المختار بعد الاختبار هو المعقول المنقول عن الأجلة مقروناً بالأدلة واليك البيان .

الجواب الشارح لرموز اوائل السور

لقد ختمنا المحاضرة الاولى تحت عنوان ميزة القرآن بين

بتوجيه احرف افتتح الله بها بعض السور وهناك اشارتنا الواضحة موضحة لمقاصد القرآن من هذه الرموز ونعززها الآن بالبينات الآتية لغرض تنوير الأفكار .

ان القرآن مجموعة جمل ليست سوى صنابة اعرف عربية من جنس كلمات العرب ومن يسير اعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية . وكلما كان العمل البشري ايسر صدوراً واكثر وجوداً قل النبوغ فيه وصعب افتراض الاعجاز والاعجاب منه فاذا الجمل القرآنية ليست سوى الحروف المتداولة بين البشر فهي عبارة عن « الم » و « حمسق » فلماذا صار تأليف جملة أو جمل منه مستحيل الصدور ؟ هذا و نجد القرآن يكرر تحدي العرب وغير العرب باتيان شيء من مقولة هذا السهل الممتنع كالطاهي يفاخر المتطاهي بانه يصنع الحلوى اللذيذة من اشياء مبذولة لدى الجميع كالسمن واللوز ودقيق الرز بينما المتطاهي لا يتمكن من ذلك مع استحضاره الادوات وكذلك الكيماوي الماهر يستحضر المطلوب المستجمع لصفات الكمال وغيره يعجز عنه مع حضور جميع الادوات والاجزاء كذلك القرآن يقرع ويسمع قومه بان

اجزاء هذا المستحضر القرآني موفورة لديكم من ح وم ول ور وط وه . وانتم مع ذلك عاجزون . وهذا الرأي في توجيه الحروف المقطعة في فواتح السور هو اختياري بعد طول اختباري للوجوه التي ذكرها العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً وقد ابلغها الامام الرازي فوق عشرين رأياً وابلغه غيره الى اكثر لان هذا الوجه الوجيه الذي اخترناه وجه لا غبار عليه ولا يتطرق النقد اليه وهو المروي عن الامام الحسن بن علي العسكري (ع) من اهل البيت النبوي (١) (ص) واختار ذلك اكثر المحققين كنبراس المفسرين ابي مسلم محمد بن بحر وشيخ النحاة قطرب محمد بن المستنير وشيخ ائمة

---

(١) جاء في تفسير البرهان ج ١ ص ٣٤ رواية الصدوق بن بابويه بسنده الحسن عن الامام الحسن العسكري «ع» قال : «كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا هذا سحر مبين تقوله . فقال الله : الم . ذلك الكتاب اي يا محمد هذا الكتاب الذي انزلته عليك هو الحروف المقطعة التي منها الف لام ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم فاتوا بمثله ان كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم بيد انهم لا يقدرون عليه بقوله: لان اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ... الخ »

العلوم العربية ابو القاسم الزمخشري مصنف « الكشاف »
والفاضل الحسن النيسابوري المفسر وغيرهم .

من الشواهد على صحة هذا الدليل وصدق هذا التعليل انه استهل هذه السورة (البقرة) المتضمنة لهذا التحدي والاحتجاج في مفتتحها بالاحرف الثلاثة (الف لام ميم) فأن الهمزة اول حروف الحلق ومبدأ تقاطيع مخارج الصوت ثم اللام حرف من اوسط المخارج . ثم الميم آخر مقاطيع الحروف على اقصى طرف الشفتين . ويفهم ان هذه حروفكم التي تبدأ من الهمزة من اقصى الحلق وقصبة الرئة الى اواسطها وهي اللام في وسط الفم الى آخرها وهي الميم التي تتولد في اطراف الشفتين هي من اقصاها الى اقصاها ذلك الكتاب لاريب فيه أي حروف هذا الكلام لا اقل ولا اكثر فلو زعمتم انه تلفيق من سفيرنا كبشر لا كرسول فأتم بشر لكم ان تعملوا مثيله ولن تفعلوا ولو كان بعضكم لبعض ظهيراً .

ثم ان اللام الذي يتكرر في (الم) و (المر) و (الص) هو من ابرز الحروف اللسانية ويشير الى أن اللسان من أطوع اعضاء الانسان واسهلها حراكا فلو كانت القضية

بشرية محضة ومن صياغة الانسان البشري وحياكة الفكر البشري لكان البشر وحداناً وزرافات يستطيعون تأليف كتاب وخطاب كالقرآن لسهولة تحريك السنتهم للاعراب عما في افئدتهم ولكن هيهات هيهات أن يأتي بأمثال هذه الآيات .

ان غرض القرآن في جميع آياته وسوره امران مهمان لاثالث لهما وهما الحجة والمحجة فقط فهو أي القرآن يريد بيان المحجة اي الطريقة التي تبلغ بسالكها الكمال الاسنى في عيشته الحسنى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) .

والامر الثاني المهم لديه بيان الحجة القوية التي يعتمد عليها في أثبات دعواه وتحقيق مدعاه وتصديق وحي الله ليتم له من مجموع ذلك صحة المحجة وصحة الحجة ومن اجل ذلك نجد القرآن يجدّ في شطر من آياته حول اثبات صحة وحيه الالهي كما نجده يجدّ في شطره الآخر حول بيان شريعته واصول طريقته لنيل الانسان السعادة والكمال .

وهذا اصل اصيل يبنى عليه صرح الدين واهداف القرآن المبين أعني بذلك الاصل صحة الحجة والمحجة .

فاذا عرفت ان القرآن يحصر هدفه بين الحجة والمحجة وان الهدف في وحي ربنا وسعي نبينا تصحيح الحجة وتوضيح المحجة ليس غير ، فاعلم ان الميزة لاثبات حجته انما هو بيان ان هذا الوحي المؤلف من الفاظ وحروف ومن أحكام ومعاني معجزة خالدة قد طالب الانسان بمثله اياماً واعواماً . فلم يقدروا على الاتيان بمثله فضلا عن ان يأتوا بأحسن منه بل تساهل وايام بأتيان عشر سور بل تنازل الى الواحدة فلم يقدروا عليه حتى مع التقريع .

نعم صرح بذلك ولوح : ان كتابي مؤلف من كلمات وحروف هي حروفكم و كلماتكم التي تلهجون بمثلها صباحاً ومساء آلاف المرات والمئات ، الف لام ميم ذلك الكتاب لاريب في انه من جنس حروفكم ثم قال بعيد ذلك وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وزعمتم انه ليس من عندنا بل من عند نفسه كبشر لا كرسول فأتوا أيها العرب بسورة من مثله واستعينوا بشركائكم وشهدائكم فان عجزتم عن اتيان مثله ولابد أن تعجزوا ولن تفعلوا فأعرفوه وحياً الهياً حقاً .. وأعرفوه سفيراً من ربكم صدقاً .. واعرفوه مرشداً مخلصاً ونبياً مصلحاً ..

تتمة الشواهد على ما ادعينا

ذهبنا وكثيرون من أهل العلم الى ان الحروف المفردة في أوائل بعض السور ذكرت كنماذج من أحسن الفاظ العرب تأكيداً للتحدي وتقريع المعارضين كي يأتوا بمثله والدليل على ذلك اشتمالها على نصف حروف التهجي (الف باء) أي أربعة عشر حرفاً جمعت في جملة (صراط علي حق نمسكه) وفيهن نصف المستعلية كما استدل بذلك العلامة الزمخشري في كشافه قائلا

« وأعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سوره على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك: أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والياء والنون

ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والكاف ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة . منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته . وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ماذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم . . الخ »

وسر اختيار نصف صفات الحروف هو الدلالة على ان حروفها نصف الأصل اي اربعة عشر (فان قلت)

لماذا اختار ربنا نصف حروف الألف باء والحالة ان القرآن حواها بأسرها - قلت - هذا سر طواه الله الفاً وقروناوانا الآن أفشيه لكم بأذنه . وموجزه ان القرآن يدور محوره حول نقطتين هما الحجة والمحجة كما شرحناه في ص ٢٩٨ فقسم الحجة نصف الغرض فيجذف الله نصف الحروف وانصاف اوصافها وان شئت قلت ان القرآن اسم لمجموع اللفظ والمعنى ، والعجز انما هو حول المعنى دون الفاظ مسموعة وحروف مقطوعة وذلك على مذهبنا من كون الجذبات الروحية هي السر في الاعجاز القرآني فاشار الى ان النصف المجموع من المعجز هو معاني المجموع لغرض التحدي وهدف الغرض في الاعجاز، وهنا وجه آخر احتمله سراً للانصاف وهو ان الحروف الهجائية في اشكالها نوعان نوع مزدوج ونوع منفرد فأثبت الفرد من ذوات الاشكال المتشابهة كالنون دون نظيراتها كالباء وغيرها واثبت الحاء دون نظائره ثم الراء دون مشاكلاتها ثم السين دون نظيره ثم الطاء دون نظيره اعني الشين ثم الصاد دون نظيره ثم الطاء دون النظير ثم العين دون نظيرتها ثم القاف دون المشاكل وهكذا فتأمل جداً .

تعليق على ملاحظات الكشاف

لقد اتضح الهدف الحقيقي لهذا القرآن وانقسامه الى غرضين مهمين بيان الحجة واثبات الحجة في رسالة هذا المصلح الأعظم (ص) .. فعلى اثر انقسام الهدف نصفين تنقسم بطبيعة الحال كلية الوسائل والاسباب الموصلتين الى الغرضين نصفين ايضا فالنصف المتعلق بأثبات الحجة هو القسم الاساسي الذي ينم القرآن الحكيم عن اهتمامه العظيم بشأنه كمعجزة ولو بصوره موجزة فيشرحها سواء أكانت آية أو جزء من آية ويصدر بها السورة قبل كل آية وقبل أي حرف من الآية لذلك قد أخذ هذا النصف الى جانبه نصف الأحرف الهجائيه أي الاربعة عشر التي عددناها أخذها على وجه المناصفة كما وكيفاً كما كشف عنها الغطاء صاحب الكشاف وابدع فيها وفي أوصافها من فن تجويد القرآن صفة صفة من حيث الكمية والكيفية .

واضفنا الى هذا الوجه الوجيه الوافي لفرض التوجيه وجهين آخرين هما بالدرجة الثانية والثالثة في الاقناع والاقتناع .

المتشابهات القرآنية خزانة المعجزات

قال سبحانه (هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا . . الخ) ٣ : ٥ . تضاربت الآراء في تفسير المحكم والمتشابه فذهبت فيهما كل مذهب وأشهرها عند العلماء هو الذي قرره العلامة شيخ الاسلام بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ. في «زبدة الاصول» قال : اللفظ إن لم يحتمل غير الظاهر منه فنص وان احتمل فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول وان تساويا فمشكوك والاولان المحكم والاخيران المتشابه . الخ

اذن فالمحكم مايفهم تعيين المراد من لفظه وخلافه المتشابه الذي لايتعين فهم المراد منه الا بمعونة الشواهد .

ومن المجمع عليه الذي لاريب فيه ان القرآن المجيد مشتمل على ايات محكمات كآية (الحمد لله رب العالمين) وعلى

آيات متشابهات كقوله (الرحمن على العرش استوى) . فالعرش فيها مفسر بمعان كما الاستواء له معان .

ونجد المسلمين من امثال هـذه المتشابهات انقسموا اشتاتاً وفرقاً ومذاهب فالآيات المتشابهات اذا قربت قراءها من التفرق والشتات صار الذين في قلوبهم مرض يبتغون الفتنة ويستغلون الفرصة لتفريق المسلمين ، وترويج آرائهم وأهوائهم فيهم . فيحق لكم والحالة هذه ان تتساءلوا عن الحكمة التي ادخلت مثل هذه المتشابهات في آيات الذكر الحكيم بينما هدف القرآن جمع الكلمة ولم شتات الأمة وهداية القراء الى الحق الذي لا ريب فيه وتنوير البصائر بالحقائق المتمحصة عن الشكوك والشبهات .

والجواب عن ذلك كله في تفصيل الحكمة العالية في هذا النوع من آيات الذكر وان الحكمة في وجود المتشابهات لو لم تكن اجل وانفع من وجود المحكمات فليست بأقل . واليك تفصيل هذه الحكم العالية والفوائد الغالية التي نقتنع منها بذكر عشرة :

١ ـ إن القرآن سفر هداية عامة لجميع اجيال البشر

وينبوع علم خالد مادام الانسان والاكوان، فأن اقتصر فيه على المحكمات الواضحة لم ينطو الكتاب على تجدد فكري وتطور نظري والقرآن غض طري في كل عصر ومصر ليستطرفه ابناء كل جيل وقبيل وماذلك الا بفضل متشابهاته وتشبيهاته ومجازاته واستعاراته وكناياته وتفنناته .

٢ ـ لأهل العصور في مختلف الدهور اذواق متلونه وانظار متفننه وهـذا الأختلاف الطبيعي لا يستقيم مع المحكمات وانما يبقى محفوظا وملحوظاً في المتشابهات .

٣ ـ ان اسرار العلوم تتجلى على اوجه التدريج حسب تدرج الحضارة وارتقاء البشر دوراً فدوراً وطوراً فطوراً وضروري للقرآن الخالد ان يمشي مع البشر حسب تدرج علمه وتلون حضارته والا فان تلكأ يصطدم السير في جيل واحد بتجدد الأذواق ونفرة طباع اهل ذاك الجيل ويسقط عن المستوى الرفيع، والساقط لايعود فان اقتصر على المحكمات في عصر النزول عجز عن ان يحافظ لنفسه المزية المطلوبة في بقية العصور اما المتشابهات ففي وسعها المحافظة على المطلوب .

٤ ـ ان العلوم التي كانت معروفة في عصر النبوة ومصرها هي على اختلاف عظيم مع العلوم التي في القرون الوسطى كما هي على اختلاف عظيم مع العلوم العصرية فلو كان القرآن يصرح بالتحرك للارض مثلا كآية محكمة لرماه الناس في عصر النبي ومصره بالجهالة ومناقضة الحس والعقل فلم يك يؤمن به واحد من الناس قط كما انه لو كان مصرحاً بسكون الأرض على وجه محكم لا يتداخله الشك لكان اهل عصرنا ينتقضون على القرآن ويتهمونه بمخالفة الفن الحكيم فكان القرآن في جموده على المحكم إما خاسراً لايمان اهل ذلك العصر واما خاسراً ايمان هذا العصر به بخلاف مالو سلك سبيل الأجمال في المتشابهات كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وجعل لكم الأرض مهداً) الى غير ذلك من الآيات المتشابهات تشير الى حركة الأرض من طرف خفي فأن ذلك وجه متوسط يلائم ذوق العامة في عصره كما يلائم ذوق الخاصة في هذا العصر ويصبح كتاباً محبوباً في كافة العصور .

٥ ـ ان القرآن معجزة الأسلام الباقية ببقاء الدهور والبشر فلا بد من اشتماله على المعجزات العلمية والأسرار

الغيبية لأبناء كل جيل وقبيل فيقرأون في خلال آياته بيان مسكونية السموات والأرض وما بث فيهما من دابة فلولم تنزل هذا الحكمة المحكمه بزي المتشابهات لصرخ المنافقون بالناس واثاروا الغوغاء على النبي (ص) بانه مجنون يزعم بوجود البغال والحمير فى السموات العلى.

٦ ـ ان هذا القرآن الذي يتحدى فصحاء العرب والعجم وبلغاء الأمم بأنه معجز لا يبارى لابد وان يستكثر فى آياته المجازات والأستعارات والكنايات والمحاسن البديعية صيانة لروعة إيجازه واعجازه فتنقلب الى المتشابهات بالطبع.

٧ ـ ان القرآن كتاب امي ومعلم عالمي له تلاميذ من كل جيل وقبيل وله قراء في كل زمان ومكان فهو مربي عقول متنوعة ومغذي اذواق مختلفة وساقي حقول متفوفة فلا بد له ان يعد لكل صنف طعاماً ولكل صف كلاماً ولكل عقل علوماً وغذاء ولكل حقل رواية وسقاية مراعياً خصوصيات الاتباع والطباع حسب الأوقات والبقاع فمن الضروري له ان يدخر من شتى العلوم والمعارف وصنوف الأفكار والخواطر كصيد لي في مركز العاصمة او دائرة

تموين للحكومة والامة يغلف كثيراً من العقاقير لوقت ما ويخزن كثيراً من الحبوب لضرف ماويحفظ في العلب ادوية لمريض ما وهذا الواجب الضروري لايتحتم للقرآن الا اذا صار لفظه جمالا ذا وجوه كما وصف الامام علي (ع) القرآن بأنه جمال ذو وجوه وهذا هو معنى المتشابه والمجمل فعلم الاجمال كما علمنا ان الاجمال جمال في القرآن .

٨ ـ أن الاحاديث تواترت في ان القرآن يشتمل على كثير من الآيات المحتاجه الى تفاسير الأئمة من اهل البيت النبوي (ع) حتى يتولى كل امام تفسر آية بما يناسب عصره ومصره اذن فالقرآن خالد للاجيال كالامام وهو امي علمي عالمي وكذا الأئمة علماء عالميون والأسلام دين عالمي علمي امي خالد والكل سائر مع اطوار البشرية .

٩ ـ ان الأمم لابد ان تدين بالأسلام فى كل مكان وزمان ومن اى لسان وعليها ان تتعلم القرآن وهـذا التعلم يختلف حسب اختلاف المترجمين والمفسرين ودرجات علومهم وحلومهم ومعارف اعصارهم وامصارهم ويتلون تفسير القرآن من جميع ذلك فرب آية محكمة عند قوم بينما هي متشابهة عند

آخرين وبالعكس كآية اقصى الحمل عند الحنفية والشيعة ورب آية محكمة في عصر هي متشابهة في عصور اخرى كآية (وترى الجبال تحسبها جامدة) الخ. فأنها محكمة في عصرنا بين ما كانت متشابهة الفا وقروناً.

١٠ ـ ان الناس امام قراءة القرآن او استماعة طبقات ثلاث: ـ

فالأولى ـ هي التي تعجبها فصاحته وبلاغته وحكمة اسلوبه واسرار معانيه وبديع بيانه وهؤلاء هم العرب الاقحاح الذين كانوا في صدر الاسلام وحواليه في حواضر الحجاز ونحوها فهؤلاء مجذوبون من تلاوة القرآن لايحتاجون في ايمانهم لأي شيء آخر غير نفس القرآن.

الطبقة الثانية ـ اقوام يهتدون الى القرآن بجذباته الروحية وتجرهم اليه حبائل ادبية معنوية حسب ماشرحناه في المحاضرة السابعة.

الطبقة الثالثة ـ اقوام غير مستعدين لجذباته الروحية وتأثيراته المعنوية كما انهم محرومون ايضاً مما فاز به الأوائل واقوام الطبقة الأولى فهؤلاء يحتاجون في هدايتهم وجذب

القرآن لهم الى وسائل اخرى غير مزايا الفصاحة واسرار البلاغة وغير دلائل اعجاز القرآن من نواحي اللفظ والسبك والأسلوب وهذا الذي دعى صاحب الوحي القرآني الى تضمينه لأنباء الغيوب واسرار العلوم الخفية في كائنات الأرض وكامنات السماء وغامضات المجتمع ومبهمات التاريخ غابره وحاضره ولهذه المزايا يصير القرآن معجزة الدهور وحجة مقبوله لدى اكثرية البشر والطبقة المفتقرة لهذه المزايا اكثر واكثر واكثر واندماج هذه المزايا في القرآن يجعله طبعاً كتاباً متشابها وضروري اذن ان يكون متشابها .

وهذه الوجوه العشرة اوجه مقبولة معقولة وان لم يسبقني اليها احد فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

نرجو من حضرات القراء ابداء ملاحظاتهم لنا حول هذا الكتاب ولهم الشكر سلفاً .

الى المشترك الكريم

لقد سارت هذه السلسلة في اشهرها الثمانية المنصرمة سيراً أرجو ان يكون قد حاز رضاء القارىء الكريم . ولا اشك بأن القارىء يشعر معي بأن مثل هذا العمل لايمكن ان يستمر في سيره المنتظم دون المؤازرة . وانا اذ نشكر المشتركين الكرام على تشجيعهم في الاقبال على طلب هذه السلسلة نرجوهم التفضل بتسديد بدلات الاشتراك لنتمكن من الاستمرار في السير ولهم الشكر على ذلك .

ترسل بدلات الاشتراك حوالة بريدية او بأي طريق آخر يضمن وصولها بالعنوان التالي :

العراق ـ الكاظمية : عبدالامير السبيتي .

3625

7

حديث الشهر

سلسلة تربط بين الماضي والحاضر ... ج بين القديم والحديث .

« كتب شهرية تعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الأدب الحي الرفيع والرأي المجرد الحر .

يصدرها

عبد الأمير السيبتي

باشراف

جماعة من أعلام المفكرين

الثمن : ٨٠ فلساً في العراق

١٠٠ « أو مايعادلها في الخارج

جميع المراجعات مع

عبد الأمير السيبتي ـ الكاظمية

مطبعة النجاح — بغداد

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
SEPT. - OCT. 1993
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 064950767